شهوات محمومة

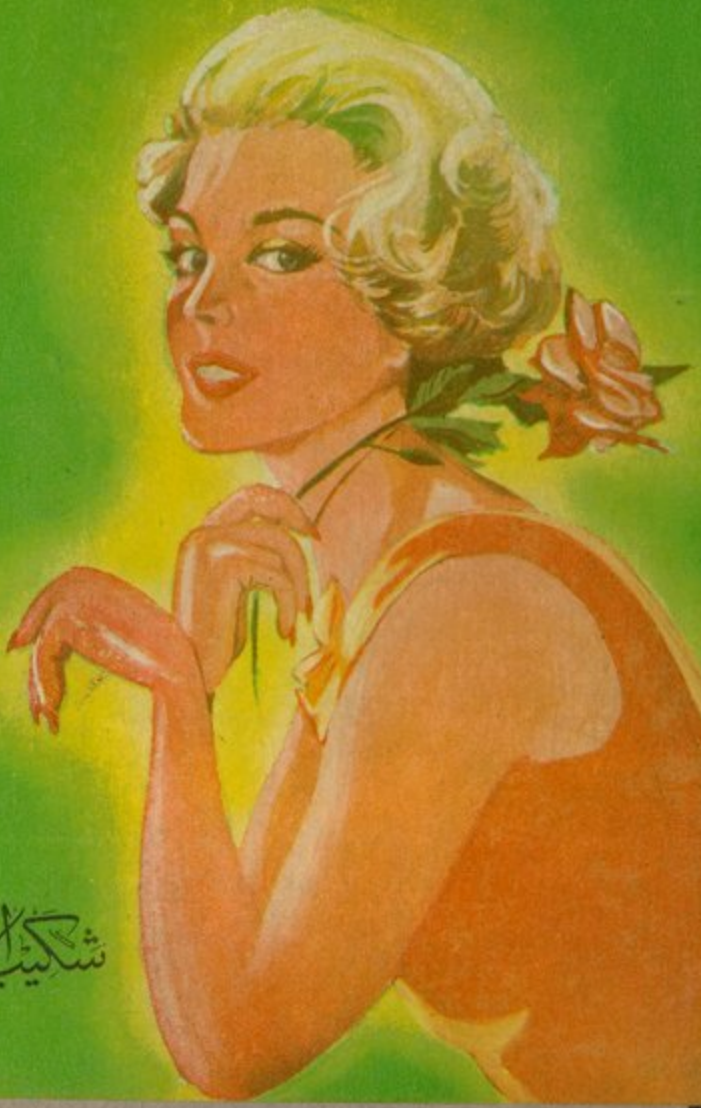

شكيب الأموي

2276
.93375
.385

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library
32101 077911822

al-Umawī, Shakīb

شكيب الأموي

Shahawāt

شهوات مجرمة

ملتزم الطبع والنشر
شركة فرج الله للمطبوعات

الإهداء

الى شباب الندوة . .

خيرة شباب جدة . .

وخلاصة الفكر فيها . .

يجتمعون ويتناقشون ويفترقون . .

دون ان يخلف اجتماعهم وجدلهم . .

شيئاً من الحقد أو الحسد أو الضغينة . .

يهدفون الى خير بلادهم ومصلتها من كل زاوية . .

ويقدرون كل عمل يقوم به أي فرد من أفراد الأمة . .

لصالح البلاد ويشجعونه . .

حديثهم حديث صراحة واخلاص وصدق . .

لانفاق فيه . . لانفاق فيه . .

الى النخبة المختارة الذين فيهم الخير المطلق . .

والبحث عن الحقيقة . . واثارة الفضائل في النفوس . .

2276
93375
.385
(RECAP)
1-12-65 577

تحية من نوع جديد

كلمة ألقيت بمناسبة تعيين وكيل وزارة المالية
وهو شاب متطلع للحياة طماح . . .
« المنهل » شعبان ١٣٧٢
(ابريل . مايو ١٩٥٣)

سيدي المحتفى به — سعادة القائمقام — سادتي الاكارم

باسم الله المعز المذل ، باسم الله القوي العزيز ، باسم القادر العلي ، نفتتح كلمتنا هذه . . لقد سمعت ياسيدي

المحتفى به كثيراً من الاطراء وسمعت قليلا من الصراحة والصدق . . والآن . . ويقتحم هذا الميدان الشاق شاب .. من شباب هذا الجيل لانخاطبه في هذا المعرض على أنه الحسيب النسيب فرع من اصل الدوحة الكريمة من آل سليمان الكرام ولا نخاطبه على قدر منصبه ومركزه بالنسبة لما سيتناول من جليل الأعمال بل نخاطبه على انه الشاب المثقف الذي غب من مناهل العلم ما ملأ به رأسه وعلى انه الشاب الذي تفهم الروح الديمقراطية الصحيحة التي أساسها مدرسة والده المستمدة من مدرسة جلالة العاهل الاكبر فأضاف اليها مااستطاع استيعابه وامتصاصه من ديمقراطية الغرب فجمع في هذه الحالة بين الديمقراطيتين او بين الثقافتين الشرقية والغربية وعلى هذا الأساس سيرحب حضرة المحتفى به بالآراء الحرة التي تهدف الى المصلحة العامة دون ماريب ولاشك . .

اول مايخرج المرء الى الحياة . . يحدس الناس ويخمنون ويهمسون فيما بينهم في مجالسهم الخاصة والعامة فيقول بعضهم هذا سيكون رجلاً عظيماً ، ويقول بعضهم : بل هو رجل أناني ويقول آخرون . يعمل لنفسه ولغيره ، وآخرون يقولون : بل يكرس كل جهده في سبيل غيره . . في سبيل الصالح العام ؛ وغير هؤلاء واولئك يصمتون لايستطيعون الحكم بشيء بل

ينتظرون الزمن ليلقي اضواءه عليه وليخرجوا من بعد ذلك بالنتيجة بالحكم له او عليه . .

وكل ينظر الى العظمة بمنظار يختلف عن الآخر فهذا ينظر اليها على أنها جمع المال وفي ذلك قال المتنبي :

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

ومن الناس من ينظر الى العظمة على ان المال فيها وسيلة لاغاية فاذا كانت الوسائل شريرة كان المال شراً على صاحبه وان كانت الوسائل خيرة نال الذكر الحميد والصيت الذائع والمرء مايقال عنه لافي حضوره بل في غيابه ؛ ونظرية من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها نظرية صحيحة تسري في كل زمان ومكان والناس يكاد همسهم ان يكون جهراً حين يتحدثون عن الخير والشر . . عن الرذيلة والفضيلة . . عن الحسنات والسيئات . وكلما ارتقت الأمة في سلم الحضارة والعلم – كانت نظراتها الى السمو نظرات بعيدة عميقة ، وكلما ارتقى الانسان نفسه في سلم الحضارة والمعرفة كان لاينخدع أولا يخادع نفسه بالنظرات التي تدور حوله او بالعبارات التي تتناقلها الأسماع وسمعه من جملة تلك الأسماع ، ففي عصور الجهالة والغباوة والذل عند الأمم ترضى الامة بنصف الأمين ونصف الصادق ونصف المخلص ونصف الرجولة ويؤولون ويعرفون

الأمانة والصدق والاخلاص والشهامة والرجولة والفضيلة والخير والغنى والجمال تأويلات وتعريفات تلائم روح ذلك العصر وتتفق مع مثل ذلك الزمان . .

ولكن في عصر النور والعلم الصحيح والحضارة الصحيحة لايرضى رجال ذلك العصر الا بالاوضاع الصحيحة ولايرضون لها الا بالتأويلات الصحيحة والتعريفات الصحيحة وعلى ذلك . . شاب كالمحتفى بـه . . كعبد العزيز . . وهـو يخرج الآن الى مجالات واسعة فسيحة . . من الظلم لنا وله . . وفي هذا المحفل الذي يكرمه سلفاً بناء على الآمال الواسعة الموموقة ان لانكون صرحاء معه بالحق . . ان البلد تتطلب منه ككل مسؤول فيها ان لايرضى الا بالتأويلات والتعريفات السالفة كاملة غير منقوصة حيث اننا الآن في فترة انتقال هامة في تاريخ البلد التي بدأت تنحو نحو العلم الصحيح والحضارة الصحيحة . . بدأت منذ زمان طويل بعلاقات مع اكبر أدمغة في العالم واكبر رؤوس أمـوال في العالم واكبر مسيطرين على الأرض والجـو والبحر فماذا نحـن مقابلوهم ياسـادة ؟ ! . . نقابلهم بأمثال عبد العزيز ممن تلقوا علومهم في بـلادهم وفي بلاد امثـال هـــؤلاء الجبابرة . . وعلى هذا يحق لنا ان نتطلب من أمثال عبد العزيز تكويس كل جهوده والدأب ليل نهار لتطبيق المباديء القويمة

التي لم تتغير منذ كان في العالم أرض وسماء ورجال أمناء نزهاء فالنزاهة هي النزاهة والامانة هي الامانة والمصلحة العامة هي المصلحة العامة دون مواربة او تفسيرات وتعليلات وانصاف حلول ! !

وقد قيل ان المرء بما حوله ولكن اقول : ان الشخصية القوية تكيف ماحولها كذلك وتطبعه بطابعها ! ! . . وتصبغه بصبغتها ! ! . .

ياأخي . .

أنت أمل الشباب المشرق المشع في هذا البلد أتدري لماذا ؟.. لأنك خلف لسلف ولست أفصل وأوضح ! ! . . أنت لاتحتاج الى المال فقد كفاك والدك شر التطلع اليه من خير «عبدالعزيز» وهذه الأمة التي تفدي « عبد العزيز» لمادر عهده عليها من خيرات وبركات انت لاتحتاج الى أرومة ومحتد وجاه عريض فهو بين يديك وطوع بنانك انت لاتحتاج الى مظاهر خداعة براقة تستر بها ـ لاسمح الله ـ عيباً أو نقصاً انت عربي حر تجمعت لديك كل الوسائل لخدمة امتك في المجال الذي وجدت فيه خدمة صحيحة أعلمت الآن ماهي آمالنا فيك ؟ ولاتستهن ياسيدي

في الزلة الاولى فهو باب لأبهاء واسعة عريضة من الخطايا والآثام وانك لمستطيع كل الاستطاعة التقويم والاحتفاظ بمبادئك الموروثة والمكتسبة من مدرسة والدك – كما استهللنا – التي هي فرع من مدرسة « عبد العزيز » وبما اكتسبته من المبادىء القويمة في مدارس الشرق والغرب وان هذه البلد الآن في حاجة الى جهد الجبابرة وخاصة تضافر الأيدي العاملة والمتعلمة والى حكمة الشيوخ وادارة الاداريين القدامى الذين وضعوا اللبنا – الاولى في النظام والروتين . . سوف لانغمط جهود ودأب هؤلاء جميعاً ولكن الدنيا تسير وتتطور ونحن نريد ان نساير عجلة هذا التطور قبل ان يفوتنا القطار نريد العز للوطن ولا يكون ذلك الا بالقوة في الادارة والقوة في الافكار ووضعها في حيز التنفيذ السريع . . والقوة بالطبع قبل كل شيء في الجيش والسلاح والاعتماد على الرجال المخلصين والا ياسادة فامامنا عدو كتب على قبة برلمانه :

حدودك يااسرائيل من دجلة الى خيبر والنيل .

يا أخي . .

كلنا عيون تتطلع اليك ولتنجح التجربة ولتصرن على ان تنجح التجربة مهما تحملت وصبرت ولتكن مثلك

صحيحة صحيحة مهما برقت وشعت المغريات وانفتحت المجالات وتلاحقت الفرص كل هـذه تستطيع استغلالها للاصلاح . . فالامـة التي تصلح ماليتها وتنظم اقتصادياتها تتطور التطور الاصلاحي السريع المنشود وتساير ركب الحضارة والزمن وقـد وضع والدك أسس هذه الاصلاحات فأتم البناء حسب ماعلمك الغرب لنلحق بهـذا الغرب لئلا تبقى الشقة بيننا وبينه بعيدة . .

والله موفقك مادمت تسعى لخير الأمـة التي أنت فرد صالح منها . .

فالله يحب الذين ينظمون أنفسهم صفاً كالبنيان المرصوص . .

والله يحب الذين يوحدون أنفسهم صفاً كالبنيان المرصوص . .

والله يحب الذين يعملون لأمتهم صفاً كالبنيان المرصوص . .

فليحب بعضنا بعضاً ولنحب الصالح العام على مثل هـذه المبادىء ليحبنا الله ولننهض بأمتنا الى المستوى الذي زحف على أساسـه العرب الى اسبانيا وكادوا يطوقون العالم بعده . .

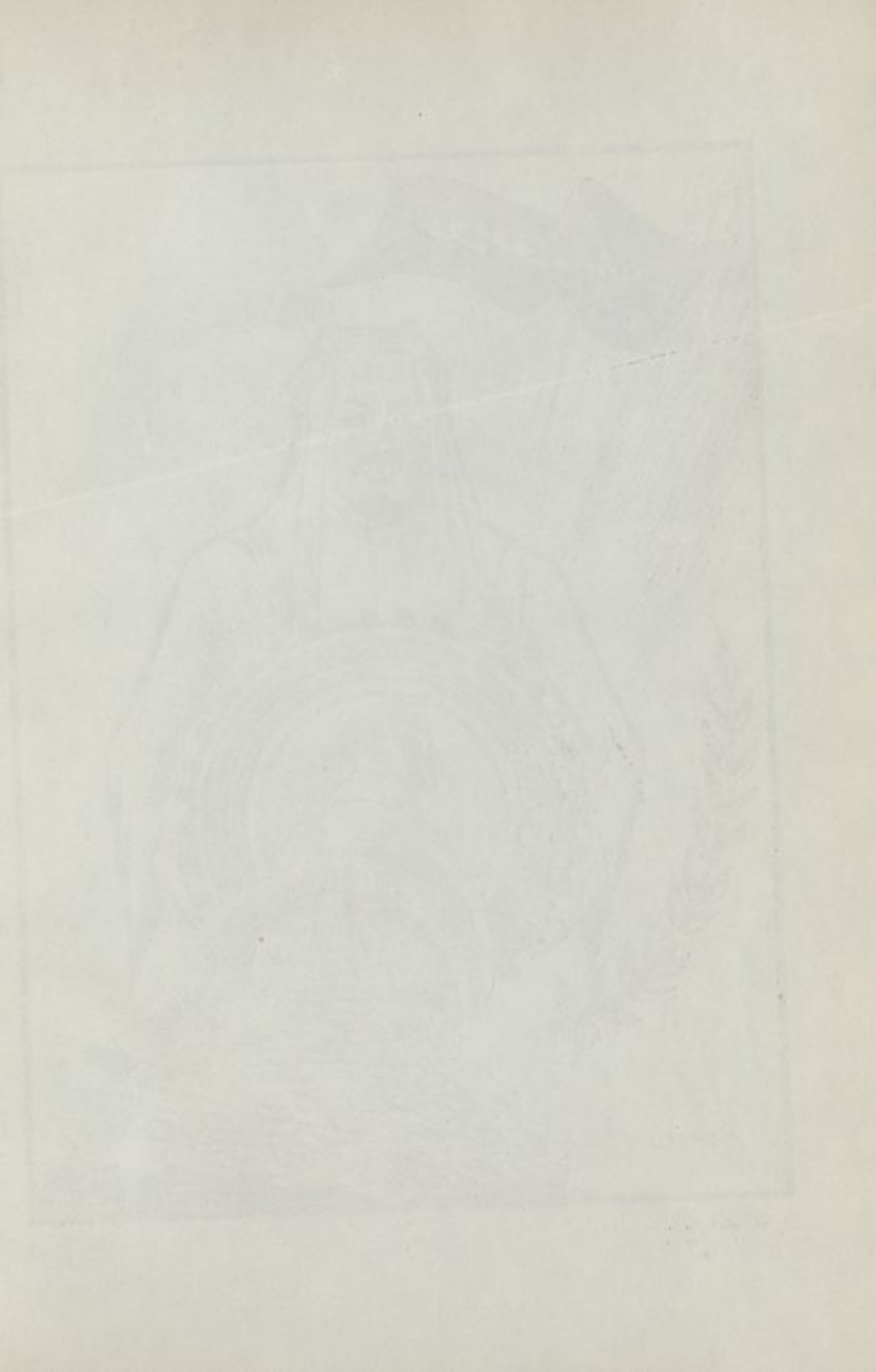

امتحان الرجولة

هذا شيخ من شيوخ قبيلة (ع) وهي من القبائل العربية المعروفة في شمال الجزيرة العربية . . له بنت اسمها « ضحى » . متفتحة للحياة كزهرة الربيع نضرة الشباب . . برنزية اللون . . سمهرية القد . . مكتنزة اللحم والعضل أسفلها كثيب واعلاها قضيب ! . . منسجمة التقاطيع . . جذابة الملامح . . يتقدم ابن عمها (سعد) الشاب الخجول البسيط المظهر لخطبتها . . ويتبع التقاليد المعروفة عند العرب بمثل هذه المناسبة .

كان هذا الشيخ يعتقد انه تنقص ابن اخيه صفات الرجولة الحقة التي كان العرب يتمتعون بها من شجاعة واقدام وحب مغامرة . فضن بابنته على ابن اخيه . . ولم يجهر بذلك . . بل القى على ابن اخيه بمعجزة . . او لعله اراد ان يعجم عوده . .

او يلقي به في التهلكة . . فطلب من ابن اخيه ان يغزو فرس شيخ قبيلة (ض) . (ابن س) المعادية لقبيلته . . وهي من قبائل شمال شرقي الجزيرة في زمان كان فيه الجمل وحده سيد الصحراء ! . .

استهول سعد الشاب الخجول الأمر وحزت في نفسه قسوة عمه في معاملته فهانت عليه نفسه . . وقال لمبلغه خبر عمه اغلب الظن انه لو كان والداي على قيد الحياة ما حقر امري الى هذا الحد . . وصمم على ان يبرهن انه جدير بضحى . . التي يكن لها حباً اقوى من المعجزات . . واستعد للرحيل من ليلته .

وهو في طريقه بين امل مشع يبعث الحماس في نفسه ليقطع هذه الأبعاد بأقل زمن ممكن ومواجهة المخاطر المنتظرة التي اما ان يقهرها فيفوز بأمنيته واما ان ترديه فيتخلص من الوساوس والأوهام . اذا بقافلة ابل امامه . . فلحق بها . . وبعد السؤال والاستفسار علم انها من نفس القبيلة المعادية التي يقصدها . . وانها في طريق عودتها من مكة الى (ض) في رحلة تجارية . . فطلب مصاحبتها . . فأذن له . . وكان من عادة العرب انه اذا كان معهم غريب الا يسألوه الا اذا غدا على مقربة من منازلهم . . فيسألونه السؤال التقليدي أضيف أنت أم مرتزق ؟ ! . . فاذا كان ضيفاً ألحوا عليه فيضطر للنزول معهم في ضيافتهم

فيكرموه . . واذا كان مرتزقاً أي بغيته السلب والنهب او الغزو . . انزلوه قبل ان يصلوا منازلهم . وليس من حرج فيما لو حاول ان يصل الى بعض مايحملون . . فاذا كان رجلاً مميزاً وصل الى ما يريد . . لأنهم هم أيضاً حريصون على مامعهم حذرون كل الحذر . فلما سألوه وقد اوشكوا ان يصلوا مضاربهم اجاب: بل انا مرتزق . . ولكنه علم منهم قبل مغادرتهم من الذي يسكن هذه البيوت القريبة منه . . وفي أي منها امير القبيلة (ابن س) . . عرف كل هذا بشكل لايثير الشبهات . .

ذهبوا في طريقهم . . وعرج في طريق اخرى . واخذ يسير على غير هدى وضحى لاتفارق مخيلته . وبعد منتصف الليل الحالك والناس نيام تسلل حتى وصل بيت أمير القبيلة. وليس من العسير الاستدلال علي بيت الامير في مضارب البدو . . اقترب هادئاً . فوجد الفرس مقيدة بالحديد . والحديد متصل بسلسلة في عمود بيت الامير . . حاول بكل وسيلة ممكنة ان يحل هذا القيد . فاستحال عليه ذلك فلما استيأس . . وقد اوشك الفجر ان يدنو من عالم الدنيا . اخذ سبيله في التسلل عائداً . . وما اوشك ان يخطو حوالي ١٠٠ خطوة بعيداً عن مجموعة المضارب، حتى رأى من بعيد فتاة جالسة القرفصاء لقضاء حاجتها . فنظر حوله ، فاذا شخص يدنو باتجاهها من بعيد . وما ان قرب منها

حتى نشب بينهما حوار . كان همساً وبرفق ، ثم عنف واشتد . وما هي الا لحظات حتى اطبق الشاب بيده على فم الفتاة ، واذا عراك نشب بينهما .وقبل ان يستطيع سد فمها سداً محكماً صاحت الفتاة مستغيثة ببقية صوتها : الا يوجد في الحي من ينصر فتاة مغلوبة ؟ ! . وكان سعد اقرب من وصل الى مسامعه هذا الصوت . بل لعله الوحيد الذي سمع هذا الصوت الخافت . فثارت النخوة العربية في صدره وهجم على الشاب فقتله قبل ان يتمكن من غرضه . واغلب الظن ان المقتول كان فتى متيما من بعيد ، وظنها فرصة هينة لبث وجد عارم او قضاء وطر عامر ! .

بعد ان قضى واجبه . رأى بين يديه فتاة كشقائق النعمان . او كنسائم الربيع و كألق الصبح . و كصفاء الحليب وابتسامة الطفل . . وكشذى الوردة العبقة . افتر ثغرها . وارتاحت نفسها فبانت كمعشوقة سليمان . . ونطقت بالشكر . ثم عاودتها العزة . فشمخت بأنفها . وسألت المنقذ عن اسمه . . وطلبت اليه ان ينتسب . فلم يجبها الى طلبها . فعاهدته ان تسعى جهدها لتكتم امره . وتساعده على طلبه . فأخبرها سعد بغرضه فأخذته الى طرف خيمة الامير . وتسللت داخل البيت وعادت بفتاح حلت به قيد (الفرس) ثم وضعت عليها السرج . وبفمها

العنان وسلمتها للشاب وقالت :

هي لك جزاء شهامتك . أنا (هيا) ابنة الامير . رب هذه الفرس . ولكن حذار من السقوط في حفرة او بئر من الآبار العميقة المهجورة في طريقك !

ودعها وانصرف جـــذلانا نشوانا يحلم بتحقيق أمنيته في الحياة (ضحى) وكأن هذا الحلم والاماني العذبة انسته نفسه . فما ابتعد ٤٠٠ ـ ٥٠٠ خطوة عـــن الحي . حتى عثرت الفرس فكبت فسقط سعد من على ظهرها . ووقـع في بئر عميقة . واما الفرس فنهضت وهمهمت وانتظرت فارسها . ودارت حول البئر دورات دون جدوى . ثم ولت مسرعة من حيث جاءت . فما ان سمعت هيا وطء . اقدامها . ورأتها حتى تركتها هائمة . فلربما نسيت اهميـــة الفرس بالنسبة لسعد . وكل ما كان يجـــول بخاطرها اذ ذاك اغلب الظن هو كسب الوقت وانقاذ سعد يسفر الصبح . فأسرعت لحبل اخذته معها ووثبت لاشعوريا نحـــو الفرس وربطتها مكانها في العمود . ثم انطلقت تعدو نحو الآبار المهجورة . نادته فأجابها ، فعرفت في أي بئر هو ، فمـدت اليه الحبل وتسلق عليه سعد ، وهي تعينه بجذبه الى اعلى ، وما ان اصبح عند حافة البئر حتى ترك الحبل للهفته وقبض على كعب (هيا) فانجذب قدمها نحوه وعادا فهويا في البئر ثانية ، واصبح

من المستحيل عليها ان يخرجا دون منقذ !

كان من عادة الشيخ (ابن س) عندما ينهض في الصباح ان تباشره ابنته فتقدم له القهوة والشاي ، ولكنه انتظر هذا الصباح دون جدوى ، تنحنح وهمهم ، فلم يجبه احد ، بحث عن هيا فلم يجدها ، فخرج من بيته مستفسراً باحثاً فوجد ان الفرس على غير ماتركها بالأمس ، فاستغرب للامر ،وبعد لحظات جاءه من يخبره ان في طرف الحي رجلا مقتولاً ،فاستعظم الأمر وحسب لذلك الف حساب ، فربط الامور ببعضها واستنتج انه لابد وان يكون هنالك مايس ابنته بعار ، فأمر حالاً ان تشد القبيلة وترحل الى مكان آخر عينه لهم دون ان يخبر احداً عن غياب ابنته او ما حدث للفرس ، وبقي هو مع احد عبيده ، الذي يثق به ثقة عمياء ، ليبحث امر هذه المعميات وليهتدي الى حل اللغز .

كان اول ما عمله بعد رحيل قبيلته ان بدأ باقتفاء اثر الفرس في ذهابها ، فسار حتى وصل البئر المهجورة ، التي بها هيا والشاب .

القى ببصره على البئر ، فرآهما ، ففزع ، ولكنه ضبط اعصابه ، وايقن لساعته انها مجرمة حاولت الفرار مع عشيقها فأخطأهما الحظ فوقعا في البئر رد الشيخ بصره عنهما بسرعة

واتجه نحو عبده وابتعد به عن الحفر لئلا يرى مارآه ، اما هيا وسعد فأيقنا بمصيرهما ! .

طلب الشيخ الى عبده ان يجمع حطباً ويلقيه في الحفرة حتى يملأها على ان لاينظر الى داخل الحفرة قط . فاذا ما امتلأت الحفرة اشعل النار في الحطب . واخذ العهد على العبد ان فعل ذلك ونفذ ما اوصاه به دون ان ينظر الى ما في الحفرة ليعتقه حراً لوجه الله .

وبعد ان استوثق من عهده واطمأن بال الشيخ ، ذهب عنه ولحق بقبيلته لأنه كان شديد الثقة بهذا العبد .

اخذ العبد يجمع الحطب ويلقي كلما جمع منه حزمة في البئر . . فيلتقي سعد وهيا الحزمة الوافدة بأيديهما ويضعانها تحتيهما . . وكان العبد جاداً بالقاء الحطب . . فكأنه كان يريد استعجال الزمن ليلقى حريته المسلوبة ويصبح احد ابناء البشر الذين يتمتعون بالحرية التي وهبها الله لكل فرد في الدنيا على السواء حتى اذا لم يبق بينهما وبين حافة البئر شيء . . ووضع العبد آخر حزمة وهم بأن يذهب ليأتي بعود حطب كان قد اشعله واعده ليلقيه على الحطب عند امتلاء البئر ، وادار العبد ظهره فوثب الفتى والفتاة وفاجآه بضربتين شديدتين من عودى حطب تلسحا بهما فانكب على وجهه مغمى عليه . . فأتما عملية

ايصال روحه بالآخرة . . وقذفابه وبالعود الملتهب على الحطب المتجمع في البئر ، فاشعلت النيران وصعد اللهب الى عنان السماء ، ومضى الفتى بالفتاة الى ﴿ ديرته ﴾ . .

بعد مرور يومين على الحادث ، رغب (ابن س) ان يستوثق من نفاذ خطته فتوجه الى الحفرة او البئر العميقة . . فوجدها ملآى بالرماد ، فايقن من نجاح خطته ، وستر العار والفضيحة ، ولما لم يعد اليه ظن انه فرح بعتقه وشغل بحريته ومستقبله ! فسر بذلك وعاد كما كان شامخ الأنف قوي الاعتزاز اما الفتى فقد لاقى مشاق كثيرة في سبيله الى (ديرته) ، من اجل المحافظة على هيا من اي سوء ، ولما وصل قبيلته (عنيزة) من غير فرس ، اعتقدوا انه فشل في مهمته ، ولما سألوه عن الفتاة التي معه قال : لقيتها تائهة هائمة على وجهها ، فآخيتها واتيت بها اليكم لتؤووها ، ولم يعد يفاتح عمه بمسألة خطبة (ضحى) قط .

مر الزمن ، ونسى الحادث تماماً او كاد ، وبعد مرور خمس سنوات على ما حدث ، رغب (ابن س) في اداء فريضة الحج الى مكة ، فشد وشد معه من رغب من القبيلة على الابل وساروا في قافلة ، متجهين نحو بيت الله الحرام ، وبعد مسيرة مراحل صادف ان مروا بقبيلة « ع » . . وصدف ان اطلت هيا

فرأت من بعيد قافلة تسير فعرفت فيهم اباها بهيئته وامتعته واحماله ! فنادت بالحال « اخاها » سعداً ، واخبرته ان اباها في هذه القافلة ، فهرول مسرعاً نحوهم ، ودعاهم الى مضاربه ، ليكونوا ضيوفه تلك الليلة .

أكرمهم سعداً واحسن وفادتهم وبعد منتصف الليل وقد اوى كل الى مضجعه واستغرق في النوم ، خرج سعد ، واخذ معه عمه والد « ضحى » ، واتجها نحو « ابن س » وانفردا به ليسو سعد له أمراً ، وقص سعد بحضور عمه « ابن س » القصة من أولها الى آخرها ، ثم نادى البنت « هيا » ودعاها لتقبيل يدي والدها ، وأكد لأبيها باشد الايمان وأغلظ الأقسام بانه ماعاملها الا كاخت تماماً .

تأثر ابو هيا (وبكى) وما كان منه الا ان قال لسعد : انها لك لقد انقذتها وانقذتني من العار ، فأنت بها حر ، وعقد لها .وبنى بها.

وعند تمام القصة فقط كبر سعد في عين عمه ، وعرف انه رجل فحل حقاً وعرف كم كان مخطئاً في عدم اجابته يد ابنته (ضحى) ، ولكن ، بعد فوات الوقت ! !

ومنذ ذاك الحين والوئام سائد بين القبيلتين .

★ ★ ★

استقبال ابطال الفالوجه في غزه

نشرت جريدة صوت العروبة بغزة بعددها رقم ٥٣ بتاريخ ١٥ آذار ١٩٤٩ بعنوان « الكلمة الصريحة التي ألقاها اليوزباشي السعودي شكيب الاموي في حديقة بلدية غزة في الحفلة التي أقامها أعيان غزة لتكريم الاميرالاي طه بك في أبطال الفالوجة » وهذه هي الكلمة :

قالوا : عاد بالأمس بطل الفالوجة . . . وابطالها مع بطلها الاول ! . .

فقلت : ما هؤلاء ابطال الفالوجة . . لا . . ليسوا ابطال

الفالوجـــة . .

قالوا مستنكرين : فماذا اذن . . قلت رويدا وصبرا .

في اكتوبر منه سنة ١١٦٤ اجتمع شيركويه مع قواده عند بلدة (البابين) قرب المنيا في مصر . وكانت روح التشاؤم تسود القواد . ذلك لأن املريك بجنوده الصليبيين والمصريين تبعهم . بعدد عظيم وعدد العرب اذ ذاك لايتجاوز الألفين . واستشار شيركويه القواد ، فرأى اكثرهم عبور النيل الى الضفة الاخرى والعودة الى الشام : وفجأة صاح احد القواد قال : كيف يخافون ان من يخاف القتل والاسر لايصلح للجندية ولايخدم الملوك . وخير له ان يبقى في بيته مع امرأته . كيف تعودون الى نور الدين من غير غلبة ولا بلاء . أتأخذون اموال المسلمين وتفرون من عدوهم . وتسلمون الى الكفار . فصاح صلاح الدين مصفقاً : هذا هو الرأي . وكثر الموافقون واجتمعت الكلمة على النزال .

وانتصر صلاح الدين وشيركويه ! ولكن عساكرهما لم تكن بكثرة ليطاردا المهزومين ويعززا النصر ويتملكا القاهرة فولى صلاح الدين الاسكندرية والآخر الصعيد . ورأى لأول مرة صلاح الدين نفسه حاكما ، وحوصرت الاسكندرية من قبل قوات افرنجية اتتها من البر . فأخذ صلاح الدين الأمر على عاتقه

تماماً واظهر من الشجاعة والصبر والاستبسال في منازلة المحاصرين ماحببه الى قلوب الأهلين ورفعه في اعينهم . حوصر اكثر من سبعين يوماً ، ولكن صلاح الدين ماوهن قط ، واضطر الافرنج لفك الحصار عن الاسكندرية لأن الانباء جاءت ان شيركويه سيحاصر القاهرة واستضاف الافرنج صلاح الدين واكرموه وتعلم على ايديهم الفروسية ! .

هذا ما كان من امر صلاح الدين بالامس . وهذا ما كان من بطل الفالوجة اليوم ! ولكن صلاح الدين لم ينم بعد ان فك عنه الحصار بل جادل وجالد حتى وحد الشرق بالغرب والشمال بالجنوب وانقذ فلسطين فان قنع بطل الفالوجة بهذا الشرف الآن فسيكون بطل الفالوجة فقط ، وهو ما خلق لهذا فقط ! .

نعم ! . كان بامكان فؤاد صادق والسيد طه ان يكونا معاً صلاح الدين وشيركويه او صلاح الدين فقط فيما بعد . فهما اللذان يؤلفان صخرة منيعة من الايمان والثبات والعناد والاصرار على النصر . ونصرهما الله في كل معاركها السابقه - ولكن ما انتهينا - انما بدأنا ! . اذا ظن العرب اننا خلصنا فذلك هو الخذلان والتسليم والانكسار ! واذا لم تنشأ الاجيال القادمة كلها محاربة فلا فائدة من استعادة فلسطين او مجد

العروبة قط !

لو اطلقت السياسة يد فؤاد صادق والسيد طه . او ما نأمل ان يكونا معاً صلاح الدين ، لما كان السيد طه بطل الفالوجة فقط ، بل كان ، أتدرون من كان ؟ . رويداً وصبراً . ترددت بالامس كلمة « عكا » على لسان كل من يمت للجيش بصلة لغرض عسكري (كانت كلمة سر الليل) فطرأ على مخيلتي حالاً هذا الاسم الخالد ، وقد يكون هذا الاسم وضع عرضاً في قائمة الاسماء ولكن القدر والافكار العلوية تعمل بوحي هو ابعد بكثير من الافكار العادية ! . أراد القدر ان ينقش في مخيلة كل جندي خصوصاً ونحن نحتفل بأبطال الفالوجة ليقول لكل جندي او حتى لكأنه يقول لكل جندي . تذكر (عكا) اذا ذكرت الفالوجة يا ابن الفالوجة وابطال الفالوجة ، فاذكروا عكا التي فتحها ابوكم ، وصلها ابوكم بالامس القريب منكم منذ بضعة اجيال فقط ، هذا ما اراده القدر وما اراده بعيدوا النظر قصداً او عفواً وهذا ما اراده اتفاق خاطر الابطال بالامس واليوم ان يكون ! ان لا نقنع بالفالوجة ولا بالسدود : فهل انتم ذاكرون يا ابناء الفاتحين ؟

اذن لو اطلقت السياسة يد فؤاد صادق والسيد طه لكانا شبيهين بصلاح الدين او ابراهيم باشا في معركة فلسطين هذه .

ستعودون في الغد متسمين بصفة المجد والقسوة والبطولة، ستعودون رمزاً للخشونة والشدة والاباء والعزة ، ستعودون يابني الحرمان والغلظة والجوع والعطش والتعب والعرق الذي هو كله ألذ عندكم من اي شيء في الدنيا لانه هو الذي ساق اليكم المجد يجرر اذياله ، ستعودون يا ابناء الصبر والجلد والكفاح والمرارة ، ستعودون الى المدينة سواء هنا على نطاق ضيق في مصر او اي بلد عربي فماذا ترون ـ خمرة وامرأة ونعومة عيش ـ ستجدون ترفاً وتبذيراً وعدم مبالاة بالايام القاسية الضارية التي تنتظر العرب جميعاً او التي قاسيتموهـــا في ايامكم المائة والثلاثين فبالله عليكم لاتنزعوا عنكم جلباب الخشونة ـ لاتنزعـوا هذا الرداء العسكري رداء الميدان . ليتمثل كل عربي في مصركم وفي كل بلد عربية بكم وبلباسكم وبخشونتكم وحرمانكم وصبركم وظفركم ـ ستعنوا لكم اكبر الرؤوس عندما تظلون محافظين على هذه البطولة التي كسبتموها بالخشونة والدم ، ولنوفر عندها كل قرش بدلا من ثمن الحرير والذهب واللآلىء .والحفلات الرنانة لنشتري بها يا بطل الفالوجـة المدفـع والقنبلة والطائرة والدبابة التي تفك الحصار لابالفالوجه ، بل في عكا او تل ابيب !

انتم الذين عرفتم قيمة السلاح والذخيرة والمدفع .

لوددت والله ان تأخذوا من كل غني ماله في سبيلك ايهـا

الحبيب : (المدفع او الدبابة) : . ولكن لا . نخشى العنف وقت السلم . ونريد ان تكونوا خير اساتذة لاجيالنا المائعة ولن يكون ذلك الا بالسلوك المثالي لتكون لهم القدوة الحسنة وتستطيعون انتم بما اتسمتم به من طابع البطولة : اليوم ان تكونوا اساتذة الجيل . وكيف ؟

انفروا من كل من يريد ان يقيم لكم الحفلات ويسمعكم الخطب . وتكريمكم هو التبرع بالمال (ان كان مثريا لشراء دبابة باسم الفالوجة مثلا) . او باخرة او حاملة طائرات او ياحسرتاه : بمدفع هاون على الاقل : واهداؤه باسم الفالوجة لتكونوا شبيهين بعدها بقوات صلاح الدين . منقذ فلسطين فاذا . اذا قنعتم بهذا الظفر الذي كسبتموه فقد خسرتم المجدالذي يسعى اليه عرب (سبع دول) لاستنقاذ فلسطين وما نالوه لأنهم بعد لايستحقون مثل هذا الشرف ولكن لا الخطب افدح واجل من هذا في الغد الخطب الاكبر هو ان تعرف كيف تدافع عن كيانك وحدودك ومطامح اسرائيل (لقد وعدتك يا اسرائيل من دجلة الى النيل) .

ولا تكونون انتم اول من يبادر للتقشف لتعلموا الاجيال التقتير فهؤلاء ابناء السكسون يعيشون الى الآن في حرمان وقد انتصروا نصراً لامرية فيه ودع عنك ابناء السكسون

بل اجداد كم هذا عمر بن عبد العزيز عندما ولي اتي له بخيل وبراذين وبغال مطهمة منمقة ولكل دابة سائس فضمها كلها لبيت المال وقال : دابتي اوفق لي ونصبت له سرادق كبير فخم فقال : يا مزاحم ضمها لبيت المال ودخل بيته فوجد الفراش الحرير الوثير فنبش حتى وصل الحصير وقال : تلك تضم لبيت المال ، كذلك الثياب الفاخرة الخليفية ورد الجواري جميعهن عندما عرضن عليه الى اهلهن وبلادهن وقال لامرأته فاطمة بنت عبد الملك : ردي ما معك من حلي وجواهر لبيت المال فلااجتمع أنا وانت وهو ببيت واحد وردته جميعه .

فتكريمكم اليوم يااابناء الفالوجة مواساة اللاجئين واللاجئات والوصول بعد الاستعداد الصحيح الى حيث وصل ابوكم ابراهيم الفاتح الى عكا حديث ليلتنا الماضية ، فلا تفرحوا بالزخرف وقد كان العرب فيما مضى يقاتلون من اجل رغيف او جمل او امرأة اربعين سنة او مائة سنة فكيف بنا وقد اضاع العرب ما اضاعوا من كل مقومات الشرف في معركة فلسطين ولكن الشرف يسترده الابي العيوف الذي لاينام عن الانتقام ولو وقفت الدنيا في وجهه وعلى سبيل الامل نقول : نستطيع ان نتوسم الخير للمستقبل كثيراً وواهم من لايظن انه لايمكن جمع كلمة العرب فيها نحن في غزة او في هذا القطاع :

شعبان : جيشاهما يعملان عملاً مشتركا ، هما شعب مصر والسعودية وجنودهما اخوان بكل ما في كلمة الاخاء من معنى

وشعب هنا يريد لو يهب ارواحه فداء هذا الجندي القادم لانقاذه وخير دليل واشرف دليل على ذلك اهـــل الفالوجـــة وابطال الفالوجـــة .

اذن كل شيء بخير فابشروا والى الوحـدة التامـة حيث نشعر جميعـــاً اننـا عرب حقيقـــة فقط فنعتز باجـــدادنا ليعتز أبناؤنا بنا .

نعم اعود فأقول : ستزدرون كل مظاهر الترف والزيف منذ الآن يا ابناء الفالوجة وليكن شـعار هذا القلب العامر منذ الآن ثلاثا :

قـــوة . . . عمـــل . . . علم

من له اذنان للسمع فليسمع ، والا فليس فينا بطل .

واجمل ما رأيت في هذه الزينات « يافطة » معلقة على باب حلواني في السوق اذهبوا كلكم لتروها ـ كتب عليها ـ لاافتخار الا لمن لا يضام .

وتتمتها لأبي الطيب المتنبي يقول :

لا افتخار الا لمن لايضام مدرك او محارب لا ينام

واحتمال الأذى ورؤيـــة جانيه غذاء تضوي به الاجسام

ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش اخف منه الحمام

من يهن يسهل الهوان عليه مـــا لجـرح بميت ايلام

ولكن...

قصة سرية النصر السعودية

« المنهل » ذو القعدة ذو الحجة ١٣٦٧
سبتمبر ١٩٤٨

ـ جلسنا نفكر ساهمين . . في هدأة الليل . . كنا خمسة نتحدث . . . بعد غد ستنتهي الهدنة الأولى . . ونحن في هـــذا الموقع سرية واحدة وأمامنا على بعد مئات الخطوات فقط عدد لجب من العدو . وقد كانوا طيلة أيام الهدنة يتوعدوننا وينتظرون

اللحظة التي تنتهي الهدنـــة فيها لينقضوا علينا .. فماذا تقول يا حضرة الضابط ؟ ..

ـ اما أنا .. فقد قمت بواجبي .. وبرأت ذمتي .. وارضيت ضميري .. لقد اخبرت القيادة ان هذه السرية لاتكفي . وان عدد اليهود المواجهين المتربصين عدد ضخم .. واننا بحاجـــة لسرية واحدة على الأقل .. كما انه لاغنى لنا عن بعض المدافع والرشاشات .. وبعض الدبابات الخفيفة .. والا ! ...

ـ والا .. فالقضاء علينا هو النهاية الطبيعية المحتومة ! .. فانظر اليهم انهم يحسنون مراكزهم في الليل والنهار ويحفرون الخنادق !.. ويزداد عددهم .. ألم تر ذلك المدفع الضخم الذي رأيناه صباح اليوم منصوبا موجهاً فوهته نحونا .. انه مدفع ٦ بوصة .. (زنة قنبلته ١٠٥ رطل) .. يحدث كل هذا على عينك ياتاجر !. على عين وبرغم انف هيئة المراقبة !.. ولكن مارأي القيادة بهذا كله ! ! .

ـ ترى القيادة اننا نكفي لهذا الموقـع .. وقـد يكون ما اظهرنا من بطولة وما احرزنا من نصر في معركة بيت تيما.. وتغلغلنا اذ ذاك الى الكوكبا والحليقـات والمدرســة . واستيلاؤنا على هذه المواقع التي كانت بيد اليهود .. هو سبب اعتماد القيادة علينا هذا الاعتماد المطلق ! .. ولست اعزو موقفنا

الآن الى سوء تقدير . . معاذ الله . . ولكن اعزوه الى ثقة زائدة عن الحد واللزوم ! . . .

ـ ولكن قال تعالى : « لا تلقوا بايديكم الى التهلكة »!.. فأنا أرى انه ينبغي لك ان تراجع اولي الأمر مرة ثانية علهم يعيدون النظر في قرارهم وتقديرهم . . . نريد ان لا يكون نصيب هذه السرية الفناء ! . . .

ـ لا أظن ان هنالك فائدة في المراجعة . . فجواب القيادة لي كان باتاً وحازماً . . ومن جهة اخرى لن اكون الا عند حسن ظن القيادة بي وبكم ـ فالثقة الغالية التي حصلنا عليها لانريد ان تذهب مع الريح ! . .

ـ ولكن يا أخي . لليهود عند هذه السرية بالذات تارات كبيرة ضخمة ! . . لقد قتلنا في معركة بيت تيا وحدها منهم حوالي ١٢٠ محارباً ومحاربة . . وقد افزعتهم تلك الرؤوس التي كانت تتطاير في الفضاء حين التقينا بهم وجهاً لوجه . . فما اجبن اليهودي حين يرى السلاح الابيض او يراك تدهمه وتفجؤه وتقابله وجهاً لوجه : . . انه عندئذ يتقلص . . ويصبح جرذانا حقيراً يطلب السلام والأمان ! . . وهذه التارات بالذات هي التي تجعلهم يضاعفون قواتهم واستعداداتهم واسلحتهم الخفيفة والثقيلة ! . . .

ـ الله معنا ! . . فلا تخف ! . .

ولكن الله يقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

قلت لك ان الله معنا . . ونحن ندافع عن حق . . لاباغين ولاعادين . . « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله »

ـ ولكن ! ! . . . (فيقاطعهم) . . .

ـ ولكن ماذا ؟ ! . . ألست مؤمناً !. . . ألست عربياً ؟!. في غزوة بدر . . وكانت عدة العدو ١٠٠٠ محارب و١٠٠ فرس و ٧٠٠ بعير ـ وعدة المسلمين ٤٠٠ محارب و ٣ افراس و ٧٠ بعيراً . . وغلب المسلمون . . (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) وفي غزوة الخندق كان المسلمون . . . والاحزاب ١٠٠٠٠ جاؤوهم من فوقهم ومن اسفل منهم حتى زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وظن المسلمون بالله الظنون . . وارسل عليه الصلاة والسلام ٥٠٠ مقاتل لحراسة المدينة خوفاً على النساء والاطفال وهجم الاعداء من كل حدب وصوب . . فسلط الله عليهم ريحاً شديدة ليلاً . . وغلب المسلمون ! (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها . . .)

ـ ولكن ؟ ! . . (فيقاطعهم) . .

ـ ولكن ماذا ؟ ! . . حين نشر الاسلام ظله في الجزيرة.. وخرج منها كانت امبراطوريات ـ رومانية ـ وفارسية ومدنيات يونانية . . . ومدنيات ضخمة . . واسلحة وعتاد .. وفرسان.. وكان العرب حفنة من الحفاة العراة الذين نظمهم الاسلام ولكن ايمانهم كان اقوى من كل هذه الامبراطوريات والمدنيات. وروحهم المعنوية كانت اعلى مما يتصورها العقل . . ففازوا وقهروا كل عدو وامتد ظلهم على تلك الدنيا الطويلة العريضة . .

ـ ولكن ؟ ؟ . . . (فيقاطعهم) ! . .

ـ ولكن ! . وصلاح الدين . . لقد هجم على فلسطين العزيزة . . هذه التي نحن الآن بأرضها . . هجم عليها ملوك اوروبا باسرها . وفرسانها . . وجحافلها . . حتى ونساؤها . . وضاعت فلسطين من العرب كلها . . وقسم كبير من شرق الأردن ولبنان . وسوريا . حتى الاسكندرية كانت تهاجم.. وحتى ارسل الخليفة العاضد شعور بيت نساء قصره يقول : « هذه شعور نسائي من قصري يستغثن بك لتنقذهن من الافرنج » . . رجع صلاح الدين عن الكرك ثلاث مرات . ورجع عن غزة موات . وكاد ان يؤسر في الرملة . . وكان يسأم من مصر فيغادرها الى الشام . . ويسأم من هذه فيغادرها

الى تلك . كان يوفق بين مختلف الآراء والمذاهب ووجهات النظر بين ملوك وأمراء العرب .. ويتغلب على ما يضعونه امامه من عراقيل ويتغاضى عن كل حسد ويتناسى كل مؤامرة وجلس في المصاعب والمشاق عشر سنوات .. وتغلب عليها كلها .. وزحف لاستخلاص أولى القبيلتين وثالث الحرمين بعزم صارم جبار .. وكان في الميادين ينظم صفوف جنده ويشرف على تقوية معنوياتهم وعزائمهم بنفسه - وحين نصره الله في (حطين) وانهزمت فلول اوروبا استعاد القدس وحلب وعكا والرملة وصفد ويافا .. وكل البلاد التي اجتاحوها بجيوشهم الجرارة ...

- ولكن ! ؟ . (فيقاطعه الآن بشدة وحماس اشد) !...

- ولكن ! . ومليكك .. أسد الجزيرة .. عبد العزيز بن سعود .. دخل الرياض بسبعة رجال أبطال . وتألبت الجزيرة عليه .. وقاد جيوشه وجنوده وأوقد فيهم العزم والمضاء .. واسس ملكا ثابت الدعائم موطد الأركان ... ووحد الجزيرة .. كلها كان يؤمن بأنه سينتصر ، فنصره الله وثبت أقدامه .. وها الآن سبعون مليون عربي .. ومئات ملايين المسلمين تتجه انظارهم جميعاً نحوه . ان العالم كله يستمع لكلمة أسد الجزيرة .. انه عادل .. كان يتفادى كل شر ..

ولا يقدم الا بعد ان ينفذ كل سهم من سهام السلم والوداعة وتسوية الأمور عن طريق الود واللين والكرم والتسامح .. وقد تساهل العرب ثلاثين عاماً مع اليهود وتذرعوا بكل واسطة لحل مشكلة فلسطين بالطرق السلمية .. وكانوا يستمعون لكل كلمة تحتال بها وتخادع بها الدول (الوسيطة) ! . التي تعطيك من طرف اللسان حلاوة .. والتي تظهر الود (وتمون) بصداقة العرب .. فما اجدت اية حيلة او واسطة . وذهبت كلها ادراج الرياح .. وتشتت عرب فلسطين - نصف مليون عربي تحت السماء والطارق ! . استعملوا كل حيلة ليبرهنوا لليهود على ان احلامهم غير واقعية قط . ولن يستطيعوا ان يعيشوا بين ٧٠ مليون عربي الا معيشة الرضا والود .. ويأبى هؤلاء الافاقون الا ان يسلبوا ارض العرب . تربتهم ، تراثهم ، مقدساتهم ، وينتهكوا الحرمات .. ويفتكوا بالأعراض ! .. وبالأمس القريب كان عرض فتاة عربية واحدة - كافياً لاشعال حروب وتوريث ضغائن واحقاد بين قبائل العرب بعضها مع بعض الى عشرات السنين - فكيف الآن - وأعراض - اعراض المسلمين مسلوبة - وشرفهم مداس - وكيانهم مزعزع - لن يكون لهم احترام الا اذا كسبوا معركة فلسطين ؟ ..

ما بالك تصمت .. ولماذا سكت عن نغمة : ولكن ! ...

- ولكن . . شططنا كثيراً عـــن لب الموضوع ! . . الموضوع الآن موضوع حرب فنية . . بحسب خطط ستراتيجية وخرائط مرسومـة . . وتكتيك وحسـاب وتقدير . . و . و (فيقاطعه) ! . .

- ياالله ! . . كأنك رومل او مونتغمري و كأنك خريج ساندهرست او .... كم كان العدو في بيت تيما ؟ . . ألم يكونوا عشرات اضعافنا ؟!.. الم نذبحهم ذبح الشياه ؟ ! . . وفي بيرون اسحاق ؟ ! . . ألم ينصرنا الله نصر عزيز مقتدر ؟ ! . . وفي بيت عفة وعديس . ،.ألم نبيض وجـــه العرب وعبد العزيز ؟!.. أية معركة دخلناها وكنا غير منصورين ؟؟.. كل منكم تفخر به عتيبة ومطير وشمر وعنيزة والحوطة والعجمان وبنو شهر وبنو قحطان وبنو ربيعة وبنو مالك . . وكل قبيلة في اية ناحية من نواحي الجزيرة ! . . انتم ابناء آبائكم العرب الاقحاح . لم تفسد قلوبكم مدنية مزيفة مترهلة . . بل سنأخذ مـــن المدينة العقل والعمل والقوة . ولامجال بيننا لكسول او متخاذل او انهزامي والقلب ! القلب يجب ان يبقى عربياً خالصاً وبه نسود . وبـــه ننتصر . . وسنغنم في الغد غنائم من العدو كثيرة . .

- نؤمل ونرجو ذلك ولكن ! . .

- قلت لامجال لتردد قط انها معركة الحياة او الموت .

اما ان يحققوا ميثاقهم الذي يسعون وراءه منذ ألفي سنة . . منذ هدم هيكل سليمان على يد الامبراطور الروماني طيطس . . والذي نشأ على انقاضه المسجد الاقصى (الذي بار كنا حوله) والذي يبكون على حائطه المقام مكان (البراق) . . اما ان يحققوا حلمهم بهدم المسجد الاقصى واعادة بناء هيكل سليمان على انقاضه . . اما ان يحققوا ميثاقهم التلمودي الذي يقول : (لقد وعدتك يا اسرائيل من دجلة الى النيل) . . اما ان يصلوا خيبر التي طحنهم فيها سيد البشر واستولى على حصنه فيها بعد ان ارسل أبا بكر فما فاز . . فعقب بعمر فما فاز . فثلث بعلي ففاز واستولى على حصونهم وقتل منهم آلافاً . وهم يحلمون بخيبر أكثر من حلمهم بفلسطين .. اما ان تكون لهم دولة اسرائيل التي ستمتد الى أجزاء البلاد العربية المذكورة . . وتحل محل الدول العربية ولديهم كل الامكانيات اذا تقووا ومد لهم الحبل بسبب مالديهم من دولارات أمريكا وسلاح روسيا ، وشباب اليهود ملايين منهم ينتظرون ليتدفقوا علينا كالسيل العرم ...

اما ان يكون كل هذا .. واما . . فاذا صمدنا الآن في معار كنا هذه فسنهزمهم وسنقضي على كل آمالهم ونبددها كما بددهم وشتتهم هتلر الذي لم يكن مخطئاً قط فيما فعل . . بعد ما نرى من اطماعهم حين يد لهم الحبل . . اما ان نثبت اننا احفاد

خالد . . واسامة . . وأبي عبيدة . . ومصعب . . والمهلب . . وعبد العزيز . . واما ان نفنى عن بكرة ابينا وليس من حل وسط فالعاقل التأني في الحرب لاينتصر ولا يغلب قال تعالى (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) وقال ابو بكر عليه السلام : (لايدع احد منكم الجهاد فانه لايدعه قوم الا ضربهم الله بالذل) . وهل هنالك اثمن واعظم واجل من ان ينال الانسان الحظوة والحب من الله تعالى بالجهاد في سبيله .

عندما نقضي على الأحلام الصهيونية الخبيثة وتعود فلسطين عربية خالصة يستطيع ان يهدأ العرب ويعيشوا في امان وطمأنينة . . اما الآن فلا استقرار لعربي .

وبعد غد . . .

لم تنم هذه السرية قط ليلتذاك . . كانت اعصابهم متوترة كانوا آذانا صاغية . . كانوا كتلاً بشرية متقدة كانوا ينصتون ويشكون بحركة النسمات والأعشاب وحفيف الأوراق . . وفي الساعة الرابعة (افرنجي) صباحاً اي العاشرة عربي اعطيت اشارة من طلائع استكشافنا ان العدو يتأهب الزحف على مواقفنا فكنا اسبق اليه . لم ندع له مجالاً ليزحف . . زحفنا عليه في خنادقه . . واعمل جنودنا فيهم قتلاً وتذبيحاً كالنعاج

لايبقون ولايذرون . وكانوا يرمون بالرؤوس المقطوعة الى الخطوط الأمامية فيفر من فيها فتتلقفهم نيران بنادقنا ورشاشاتنا ومدافعنا .

وغنمنا من العدو نعم غنمنا كما قال قائد السرية المسئول غنمنا منه مدافع ماون ، ورشاشات برن ، وبنادق ، وذخيرة كثيرة صناديق منها . . . ولم نغنم لا اسيراً ولا اسيرة قط !! ..

كانت جثث (٧٤) محارباً ومحاربة ملقاة في وديان ووهاد ذلك الموقع الى الشمال من بيت تيا . .

اما الضابط القائد فهو محمد الهنيدي . . واما السرية فأطلق عليها (سرية النصر) .

قصة من الميدان

« من ذكريات حرب فلسطين »

الحرب وحل وشرف

رجب ١٣٦٨ « مايو ١٩٤٩ »

الحرب وحل . . وعرق . . برد قارس . . وحر لافح . .

وجوع . . وعطش . . ودماء . . ! !

هذه هي الحرب فاعلم يافتى العرب . . ولكن وراء هذا كله يجثم المجد كله ! . . المجد للوطن والحرية للأجيال . .

والسعادة . والراحة والشرف ! . . والجندي . . الجندي . . هو الذي بالتعب والعرق والغنى . . والجروح . . والتضحية والدم . . يجلب لأمته كل هناء وكل مجد . .

ولأصور لك كل هذا . . أسرد قصة بسيطة هي مثل لما يلاقيه الجندي والضابط حتى في وقت الهدنة والسلم ! . .

اتفق ضابطان ان يذهبا من غزة الى معسكر خان يونس عند ضابط . . مرابط في الخطوط الاولى وهو قائد كتيبة ! . وسارا في (جيبها) في يوم ماطر عاصف ريحه صرصرا . . وبعد ان وصلا خان يونس اضطر ان يسلكا بالجيب طريقاً ضيقاً منحدرة . ملآى بالرمل والمياه المتجمعة . . كان لابد (للدبل) ان يستعمل لمسافة لاتقل عن نصف ساعة او يزيد . . وبكل تؤدة بحيث لاتتجاوز السرعة عشرين كيلو متراً في الساعة ! . وصعد اول مرتفع ثم نزلا وادياً ورقبا مرتفعاً آخر . الى ان وصلا للنهاية وتوجها بعد السؤال والاستفسار من حرس الى حرس الى مقر قيادة الكتيبة . . واذا هي (دوشمه) حصن تحت الارض . . غرفة ذات امتار معدودات . ودرجات معدودة كذلك . .

قال القائد وقد بدأ الظلام يخيم على الوجود . . قد يكون من الأجدر ان تبيتا هنا اذا لم يكن من الرسميات والواجبات

ما يمنعكما عن ذلك . . فوافقا اذ لم يكن هنالك مايمنع فعلاً في وقت السلم والهدنة ! . .

وبعد قليل كان على القائد وضيفيه وبعض الضباط ايضاً ان يتوجهوا (الى مرتفع) آخر ليتناولا طعام العشاء عند السرية الاخرى ولما كان المطر متواصل الهطول وبشدة . . وكانت الرياح العاصفة دائمة التوازن والهبوب . . ولا يلوح أي أمل في توقف هذه الأمطار لأنها هناك اذ هطلت فقد تستمر أياماً وليالي دون ما توقف . . وعلى ذلك فقد تجمعوا بالسيارة الجيب وأخذوا سبيلهم وسط هذا الجو (المبعثر) المنهك الى المرتفع الآخر وطبعاً نزل الجيب وادياً ورقى مرتفعاً . . وما وصل منتصف الطريق حتى سمع من فيه عياراً نارياً اخترق الجيب . . فأطفأ السائق انوار الجيب حتى النور الخافت . . ونزلوا جميعاً من الجيب امين . امين ! . . نحن فلان وفلان وسر الليل كذا.. ولكن من يسمع ؟!.. ان هذا الريح الصرصر العاتي الذي يصم الآذان . . وهذا المطر المنهمر يمنعان المرء من ان يسمع كلام نفسه يله جاره فانطلقوا جميعاً باتجاه الحارس صائحين بأن يتوقف عن اطلاق الرصاص ريثما يصلونه . . رافعين ايديهم بالطبع . . وحين وصلوا على مقربة منه استطاع ان يسمع صراخهم مجتمعين . . فأمكنه ان يفهم ان هؤلاء اصدقاء . .

بل ضيوف . . فنادى زميله الحارس الآخر الذي ارسله ليأتي بمدفع البرن الذي كان يريد اطلاقه فيحصد من بالجيب حصداً لأنه لم يسمع كلمة الأمان والسر ولا أي صوت صادر عن (الجيب) في اول لأمر حين اطلق العيار الناري الاول ! . . وقد كان نصيب اسبقهم اليه لايقل عن ثلاث وقعات ومرمغات بالوحل والمياه . . ومع هذا لم يكن مبالياً بكل هذه المشاق في سبيل الوصول اليه قبل مرور الوقت على اطلاقه العيار الثاني الذي لابد وان يصيب الهدف بامكان ويسر ! . .

وتقدموا جميعاً بالجيب . . . وتذكروا جميعاً كيف كان مثل هذا العيار سبباً في القضاء على بطل خالد مغامر ومثل من امثلة التضحية والتفاني في القيام بالواجب المقدس . . واسد من اسود حرب فلسطين الشهيد أحمد عبد العزيز ! وهنئوا بأكلة (ميدان) دسمة . وما الذ العدس والملوخية في الليل والنهار !. . بل والخبز الجاف عند الجندي المؤمن ألذ من خرفان الموائد والمآدب والحفلات ولا تظن ياصديقي العزيز أن السعودي ينسى الرز (البخاري) وباقي المآكل الشهية أينما ذهب . . بل الدجاج واللحم متوفر عند أهل القرى العربية في فلسطين . بلاد الخيرات والبركات والخضرة والنضارة واللبن والعسل ! فان جندينا لايضن بالقدر المستطاع وبالامكانيات المحدودة على -

نفسه ببعض المآكل الشهية أحياناً ! . .

ثم عادوا بعد سهر وسمر الى مقر الكتيبة .. الى قواعدهم بعد ان منح قائد الكتيبة الجندي اليقظ الذي أطلق العيار الناري عليه وعلى ضيوفه ، منحه جنيهين . . . وقال له : أعطني قرشاً ونصف جزاءاً لك وفاقاً . . فظن الحارس أنه يمزح فزجره قائلاً : بل قلت : هات قرش ونصف قرش . . ثمن العيار الناري الذي اطلقته عبث دون ان تصيب الهدف بل كان عليك أن تصيب . . . فاننا لن نطلق رصاصة واحدة عبثاً ! ... فبهت الجندي ، فوح بالجنيهين مكافأة له على يقظه .. وامتعض للقرش والنصف تنحرج من جيبه كجزاء . .ولكن جندينا مضياف كريم لايأبه للذهب يتدحرج من يده (في محله) دون ما اسراف او اصفاف او ايلاف ! . .

حين عاد القائد الى مقر قيادته غاص في حصنه . . وقال لضيفيه هاك مبيتكما . فاذهبا ان أردتما اليه لتستريحا من عناء ما اصابكما من تعب وشيء من الفزع هذه الليلة ! . ، فذهب الضابطان الى حصن قريب . . ونزلا درجاته . . وتبينا حدوده على ضوء سراج خافت . . فرأيا مكانا بطول الرجل تماماً . . ولا يتسع لاكثر من اثنين فقط عرضاً . . فرش في أرضه اربع (بطانيات) تحت كل منهما . . واربع بطانيات

اخرى يتدثرا بها ويستعملاها كغطاء فقنعا بذلك وحمدا الله عليه . . وغطا في نوم عميق ! .

كان أحدهما ينام في بزته العسكرية كما هو تماماً ..واضعاً معطفه العسكري تحت رأسه كوسادة وفي الساعة الثالثة والنصف بعد منتصف الليل (٩,٣٠ عربي) هب هذا نوم . . وقد شعر بأن قدميه قد اعتراهما برد شديد . . وجد ان كعبي رجليه غارقتين في الماء . . فظن ان لامر لا أهمية له . . وما عليه الا ان يطوي بضعة سنتيمترات من البطانيات التي كان يستعملها كلحاف عليه يطويها تحت قدميه فيتنعم بالدفء ! . وينتهي الأمر .. فطوى هذه السنتيمترات ولكن بعد قليل كانت هذه مبتلة أيضاً . . فادرك ان الأمر على غيرما كان يظن !.. فمر بيده على بطانيات الأرض فوجد ان هنالك فراغاً بين هذه البطانيات وبين الأرض . . فقال في نفسه : اما ان يكون هذا الفراغ هواء او ماء ! . . والأغلب انه ماء . . فأشعل السراج الباهت . . وتطلع صوب الباب . . فاذا بفوهة تبلغ حوالي النصف بوصة يتسلل منها الماء وينساب تحت البطانية . . ففزع وايقظ زميله على غير وعي . ولكن زميله الذي كان يغط ويشخر أفاق . . وعندما علم أنهما مشرفان على الغرق . . اخذ يلبس ثيابه بسرعة وزميله يستحثه . . وبعد ان تأهبا للخروج

من هذه المكان الذي يوشك ان يصير بركة ماء . . اخذ اولهما يدفع بابه برفق ليخرجا . . فما كان الا ان اخذت الفوهة التي كان يتسرب منها الماء تتسع . . ووجد كذلك انه يطلب جهداً كبيراً لفتح هذا الباب . . فأدرك ان الماء يعلو الباب من الخارج بما لايقل عن نصف متر على الاقل .. وان الطريق المؤدية الى هذا المكان المقبور تحت الارض كلها ملآى بمياه الامطار المتواصلة الانهمار ! . .

قال اولهما لرفيقه : علينا الآن ان نرسم خطة للخروج بأقل الاضرار الممكنة . . انت تقف على حافة الباب اليسرى وانا اقف على حافته اليمنى . . وندفع كلانا الباب بقوة . . فتتدفق المياه الى الداخل على البطانيات . لابأس ! . . ثم نقفز اعوض قفزة ممكنة ونخرج في الدرجات والمنعطفات نتلمس خطانا الى ان نصل الى سطح الارض وكان ذلك . . فبعد ان وصلا سطح الارض اتجها صوب دوشمة القائد . . فصاح بهما الحارس الموكل اليه الحراسة : قف . . من انت ! .. قالا : أمين . . نحن فلان وفلان . . ضيوف القائد ! . قال الحارس : لاتسيرا باتجاه دوشمة القائد قط . . ومن تجرأ على مخالفة هذا الامر لايكون نصيبه الا الرصاص والله العظيم ! . . فعلما ان ليس الامر مزحاً . . فوقفا مكانهما وصرخا ياجناب

القائد . . يافلان . يافلان بأعلى صوتها . . واستيقظ القائد . . ودعاهما لدوشمته . . فعرضا لجنابه الانذار الصادر من الحارس الهمام . . فصاح على الحارس يأمره بالسماح لهما بدخول دوشمته . . عندها فقط استأنسا وعرفا ان حياتها ليست محفوفة بالمهالك والاخطار او برصاصة ! .

ودلفا الى دوشمة القائد تحت الارض برضه ! . . فعجبا كيف ان هذه الدوشمة لاتزال سليمة من الامطار والاوحال قالا للقائد : هل من سبيل للنوم هنا عندك ؟ ! قال : بلى . فدبرا أمركما . وغطى وجهه بالبطانيات ونام في سريره الضئيل المنكمش ! !

وعادوا الى تكتيك جديد يحتالان فيه في مساحة تبلغ سبعين سنتمتر طولاً بخمسين سنتمتر عرضاً لينام كلاهما فيها . ذلك لأن بقية المساحة الفارغة من هذه الدوشمة كان يشغلها كرسي ضخم وحقيبة كبيرة والحقيبة تنكمش أحياناً . . كالآمال . . تكبر او تصغر بحسب العزم المبذول والقوة والعناد الاحرار ! . فانكمشا كحرف S بين هذه المساحة الضيقة جداً . وضع كل منهما معطفه على رجليه فغطى (لتقاصره) يديه وصدره . . اخذا ينصتا لرعد السماء وهياج الهواء وحمق الشتاء ! . .

وبقيا على هذه الحال مفتحي العينين . . يتحدثان همساً أحياناً . . واحياناً يرفعان صوتهما فيقلق القائـــد فيهددهما مازحاً باطلاق النار عليهما ان سمع لهما صوتاً في المرة الثانية . . وفي كل مرة تصبح الثانيـة ثالثة . . وحين وصلت العاشرة . . انبثق الفجر وقد كانا يتسليان بالحديث والنكتة لصرف ذهنهما عما اصابهما من برد شديد قارس . . وشر البلية ما يضحك . .

وفي الصباح سألا القائد : كيف تسرب الماء الى دوشمتنا ولم يتجرأ على التسرب الى دوشمتكم ياجناب القائد ؟! . قال : بل عنيت ذلك . . وقد عمدت الى ان لا تحفر (حفرة) بجانب دوشمتكما منذ قدومكما لكي تذوقا مثل هذه الليلة وتذكروها ولكي تقاسيان بعض ما يقاسي حراسنا كل ليلة ودورياتنـا ونحن جميعاً . . وخصوصاً هـذا ( ) أنت لتكتب عنها . . ولتشعر بشعور الجندي والضابط الذين يعيشون في الوحل والطين والماء والحر والتعب والدفـوع والبرد والعطش والجوع . . فأكبرا روح هـــذا القائد بالرغم من انهم جميعاً يعيشون مثل هذا العيش . . بل ويفخرون بمثل هذا العيش . . ويستمرئون لذة هذا العيش مادام فيه مجد الحروبة ومستقبلها وبقاؤها ! .

وفي الصباح الباكر رغبا في العودة الى (قواعـدهما)

فلم يسمح لهما القائد الا بعد تناول الشـــاي لتدفئة عظامهما . . . وبعد ذلك انصرفا . .

وحين سألا عن حال الدشم الأخرى حمدا الله على السلامة والعافية . . فقد كان عدد (اللاجئين) من دوشمة لأخـــرى والمنتقلين من (جبهته) لأخـرى كثيراً وعـدد (الاصابات) أكثر بكثير مما قدرا . . وعدد الخيمات الممزقة والمنهارة كثيراً جداً وفتش احدهما في احدى الدشم عن كيس ثيابه (ومتلكاته) فوجده (عائماً) على وجه بركة في احدى الدشم المنكوبة !..

وحين عادا بالجيب العتيد الذي استلزم تشغيله (بالدفء) جهداً كثيراً بعد تنشيف البواجي واحماء الموتور . . وباقي العملية المعروفة . . أخـذا يتلمسان نفسيهما غير مصدقين أنهما قاسا ما قاسا في ليلة واحدة . . وفي الهدنـــة . . ولقيا ما لقيا نعم . . حين عادا ووصلا جسر غزة وجدا أنه مغمور بالمـــاء يعلوه متراً . . وقفا يندبان سوء حظهما . . فهذه ثالثة الأثافي . . وكان لابد لهما من العودة .. وصادف ان مر قائد القوات السعودية اذاك فنزل وأخذ يحدثهما حديثاً مستطاباً عن مئات الليالي والأيام من امثال هذه في الزمان الغابر حين لم تكن سيارات تقطع الطرقات ولا طيارات تقطع الأجواء وكان الجندي في

الزمان السابق حقيقة يقاسي ويضحي ويسفك دمه وهو هانيء سعيد لأن أرض وطنه مصانة وتربة أجداده محفوظة ومستقبله رافع الرأس معتزاً عالي الجبين موفور الكرامة ! فهل للعرب مثل هذا المستقبل؟ بلا . قد يكون اذا سعوا بصدق وأمانة وهمة ونشاط نحو مثل القرآن الثلاث

علم . . قوة . . عمل . .

فأما الضابطان الزميلان فهما . . غازي ورفيقه معه وأما قائد الكتيبة (المضيف) المفضال فهو . . عبد الهادي محمود . .

ترى ماذا سيكون نصيب الجندي في وقت السلم حين يعود وقد أدى واجبه على خير وجه وأكمله . . وهو لايبالي بالتقدير والتبجيل . . فهو رجل التضحية والواجب والنظام والواقع والعمل . . وهو رجل الطواريء والمفاجآت والفترات الحرجة في تاريخ الأمة . . ولكن . . هل يحسب حسابه كفرد من جيش لجب ضخم قوي منيع . . وهل توضع الامكانيات وتوفر الأسباب لجعل جيش كبير كهذا في البلاد العربية . . وهل ترصد الميزانيات الضخمة لذلك لحمى حدودنا ومصالحنا المتشعبة الكثيرة .. وهذه حرب فلسطين أثبتت أنه لن تقوم للعرب قائمة بغير هذاالجيش.. أم هل نقضي الأيام والسنين في التشاور والتداول والمباحثات والتردد . .

ماسح الأحذية

كنت وصديقين في مقهى مطار جدة . . ويلذ لك في هذا البستان الدائري المليء بمختلف انواع الشجر والزهور والحشائش ان تتأمل فعل الانسان الحضاري الذي يجعل قطعة من الرمال يابسة جرداء قاحلة لانفع فيها ولا روح . الى قطعة مبهجة ذات حياة وروح ونفع تسر الناظرين . . انك تستمتع

بكل دقيقة تمر بك في ذلك البستان . وهنالك تجد الراحة والمتعة من عناء النهار ومتاعب الحياة اليومية . . وتعطيك ظلال الاشجار وتموج الأوراق والأغصان . . ونظافة الموائد.. وهذه المظلات الأنيقة شيئاً من الخيال (والسرحان) . . واذ نحن في دردشة تسري عن انفسنا الجد والضجر اذ أقبل علينا صبي رث الهيئة يحمل على كتفه أدوات مسح الأحذية . . وحط بجانبنا .. ومع ان منظر الصبي لاينسجم مع ما حولنا من مناظر مبهجة . . الا انه ابتسم . . فكان في ابتسامته معنى من معاني الايذان بالدخول الى القلوب المغلقة الحائرة التي ترى ان البؤس ضرورة لابد منها . . وان في استطاعتك ان تأخذ الحكمة من البؤساء .. بقدر ما تعطي من ارتياحك .. او على الاقل تكلف ارتياحك لوجودهم . . والتفتيش عن وسائل اسعادك لهم ..بأقل جهد وبأقل القليل . . الأمر الذي لايكلفك جهداً ولا تعباً . . هذا . بينما انت تفرغ احياناً كل مافي طاقتك من جهد . . ومافي جيبك من مال .. في سبيل ارضاء كبير او موسر رمته الحياة برذيلة الكبر .. فلا تظفر منه بعد التعب والنصب الا بالترفع.. والنقد . . وعدم تحقيق بغيتك من نيل رضاه . . او التخلي عن محاولة هدمك . .

وابتسمنا لابتسامة الصبي . . وارتحنا لهذا الوجه الدائري

الشاحب السواد . . لاخلقة . . ولكن بتأثير الغبار والعرق المتراكمين المتماسكين لهاتين العينين الواسعتين اللتين تنمان عن البساطة والذكاء .. لا عن الخبث والدهاء . . لهذا الشعر الأسود الفاحم الذي ترك على سجيته فاستطال حتى كاد ان يصل رموش العينين . ويغطي الأذنين والرقبة وقال : هيا . بوية .

ونظر الى كل مايلبس في رجله فأنا ألبس (النعال) الذي لايحتاج الى بوية . واصدقائي كان حذاء كل منهم لامعاً . ولكن لابد من ادخال السرور على صاحب هذه الابتسامة البريئة . فاشتريت ماعند صاحبي من رباط حذاء . . ومن حديد يوضع في مؤخرة الحذاء ومقدمته ليقوى على عوادي الزمن وليعيش أطول عمر ممكن ! ! . . كل هذا لما هو عندي في البيت من حذاء . ثم عرج الصبي على صاحبي وكان احدهما فخري . . والثاني امريكي . فحن قلب فخري على الصبي واراد منحه أي قروش مقابل اي عمل . فأشار عليه بتلميع الحذاء (اللامع) !. وبينما يقوم الصبي بمهمته . انسجم مع فخري بحديث سأله فخري.

ـ هل تكسب في عملك قوت يومك ؟

ـ بل اكثر بكثير .

ـ هل أنت مسؤول عن أحد غيرك ؟

ـ نعم . مسؤول عن أبي . الذي لايستطيع القيام بأي عمل.

- وماذا تعمل بما توفر من فلوس ؟

- تضيع او تسرق مني .

- وكيف ذلك ؟

- ربحت الآن بما بعته لرفيقك ثلاث ريالات . وأنا أعمل وأعمل طول يومي وأكسب . ولكنني أنام أينما اتفق . أنام في المسجد . في الشارع . في كوخ اي كوخ . وكثيراً ما ينام الى جانبي متاعيس مثلي او اكثر كثيراً .. لااعرفهم ولا يعرفونني ولا رابطة تربطني بهم الا رابطة البؤس . . وعندما استفيق امد يدي الى جيبي او الى (كمري) فأجد ان ما جمعته في يومي او في كل ايامي قد طار . وأتلفت حولي فلا اجد أثراً لرفاقي او ربما وجدت احدهم . يغط في نومه . ويبعث شخيراً مفزعاً . . فأوقظه بعنف واستحلفه او اهـــدده او امسك بخناقه . فيقسم بأنه مجنى عليه . ويستسلم لي افتش ثيابه قطعة قطعة . دون ان اعثر على شيء قط فأعرف انه بريء . وانها تهمة باطلة وان بعض الظن اثم . فاستسمحه وامضي راثياً لحاله . ناقماً على ما أنا فيه من حـــال ليس لي فيها يد . ولا استطيع دفعها او تحسينها او الخلاص منها . واضاعف جهدي لأجني ربحاً اكثر . واجمع نقوداً اكثر واخبيء نقودي واصرها . واربط بها على بطني حين انام . الى ان تساوي ثمن بسكليت . أشتريه . وامتطيه

حيثما شئت . الى البحر . اسابق فيه لداتي واترابي واخواني في البؤس . واذهب اما لأنام او لأمسح حذاء زبون فأجد ان البسكليت باغفاءة بسيطة قد طار وطار معه تعب وعرق ومحصول شهرين او ثلاثة اشهر على الأقل . قال صاحبي :

ولكن ألا تستطيع يابني ان تحفظ نقودك التي تجمعها في مكان امين غير جيبك او كمرك ؟

ـ هنالك أبي . ولكن أبي مثلي مضياع متلاف لكل ما أعطيه من مال او متاع .

ـ ولم لاتعطي نقودك يابني الى رجل أمين ليحفظها لك عنده او مكان يسمى المصرف او البنك حيث يحفظ الناس نقودهم ويوفرون على انفسهم مشقة حراستها . وحفظها من الضياع ؟

ـ أنا ياعمي لاأدري ان هنالك شيئاً اسمه مصرف او بنك . او ان هنالك اناساً شرفاء ، يمكنني ان ألجأ اليهم لحفظ مالي ومحصولي اليومي أنا اعرف انني منذ تفتحت عيناي للنور والحياة كنت امد يدي لأحصل على اللقمة من فلان وعلان فأجد الاعراض من هذا ، والركل او الرفس من ذاك ، والشتيمة من فلان ، وكان منتهى ما اصيب من حنان ان يقول لي أحدهم : الله كريم او يلقفني بهلله او نصف قرش أنا لم اصادف انسانا

عطف علي عطفاً أكيداً ومنحني ريالاً دون ان يشغلني بما يعادله عشرات الريالات .

ـ يابني ، هذا عمك ، الذي اشترى منك الرباط والحديد دون ماحاجة ملحة لها ،انه رجل امين موثوق ، وهاقد عرفته تستطيع ان تأتمنه على مالك ، او يرشدك الى كيفية المحافظة على ماتجنيه في يومك، فاما ان يوفر لك مالك في صندوقه او في صندوق البنك .

ـ ولكن كيف أئتمنه وقد سمع مني الآن كيف غششته وكيف انني بعته ماقيمته نصف ريال بثلاث ريالات .

ـ اذن هذا هو سبب ضياع مالك ، وخسارتك المتوالية ومع هذا سيأخذ صديقي هذا بيدك . . سيريك يابني الخطأ من الصواب ، والأمانة من الخيانة ، والصدق من الكذب .

ـ وكيف اربح عندئذ في النصف ريال ثلاث ريالات ، وكيف اوفر ثمن بسكليت . وكيف اعطي فائض محصولي لأبي ليأكل به الخبز ؟ !

ـ ان هذه تجارة . وفي المعاملات التجارية ما يبرر الربح والخسارة بين الناس .

ـ اذن هنالك في معاملات الناس مايبرر الغش والكذب

والخديعة والخيانة ؟! اذن هل نصدق اذاعات بريطانيا واسرائيل وفرنسا في تبريرها الهجوم على مصر وغزة وسيناء ؟ !

وما ان وصلنا الى هذه النقطة من الجدال حتى جاءنا السائق يقول :

هيا . وصلت طائرة ارامكو ونزل منها الركاب .

وكنا قد نسينا اننا ننتظر طائرة ارامكو . ونسينا اننا جئنا لنشرب فنجان قهوة في مكان ممتع مبهج . فجرينا نحو الطائرة نستقبل ضيوفنا . وكل منا ينظر الى وجه صديقه ويبتسم متعجباً من هذه المناقشة التي تورطنا فيها مع ماسح أحذية فيلسوف .

وحز في نفسي انني لم اصل الى نتيجة مع (صديقنا) الفيلسوف . وعدت الى المقهى . الدائري البستان الوارف الظلال العبق الزهور . اطلب وأسأل عن (صديقي) فلا أجده . ولا أزال اتردد كل يوم على ذلك المقهى أبغي أن اتم نقاشي الفلسفي معه دون ان اعثر له على اثر فهل من يدلني عليه ؟

انا عائد من الميدان

« جريدة البلاد السعودية »
٢٩ رمضان ١٣٦٧ ، ٤ أغسطس ١٩٤٨

من حسنات الهدنة ! . .

تبعد مستعمرة (نقبا) المشهورة بضعة كيلو مترات عن مركز هام للقوات المصرية والسعودية وهو (المجدل) وكانت حامية نقبا لاتقل عن ٢٠٠٠ يهودي من الهاجانا . والى

جفوبها عراق سويدان .. وبها مركز بوليس كالقلعة تحتله القوات المصرية كما احتلت قواتنا والقوات المصرية بيت عفة وهي شرق نقبا واحتلت القبة التي تقع غرب نقبا كذلك .. وكذلك احتلت عبديس الى الشمال من نقبا . وبذلك احاطت القوات كلها بنقبا احاطة السوار بالمعصم . ونستطيع ان نقول ان هؤلاء ال ٢٠٠٠ اصبحوا في قبضة القوات العربية . ولكن استطاع قسم قليل منهم ان ينفذ الى (دوشمة) تقع الى الشمال الشرقي من المستعمرة بين عبديس وبيت عفة .. وهنالك بدأ اليهود يستعملون مدافع ال ٦ بوصة التي لم يكن شيء لديهم منها قبل الهدنة الأولى وهذه من (حسنات) الهدنة ! ! ..

قرى يهودية تصبح أطلالا

ولكن مع هذه شددت القوات العربية على هذه المستعمرة النكير وكانت تصليها بمدافع ال ٦ بوصة والطائرات نيراناً حامية في الليل والنهار .. وقد طفت بالمراكز العربية كلها التي تحيط بالمستعمرة وتطلعت اليها بالمنظار .. فكان منظرها عجباً . كانت بيوتها كأنها الأطلال البالية .. وكالعظام النخرة .. مخروقة في كل شبر من بيوت وعمارات هذه المستعمرة القديمة .. مهلهلة .. ممزقة كل ممزق .. وكان لابد من ان تقع في ايدي

قواتنا وان تخر صريعة لولم تعلن الهدنة الثانية ! ! . .

قصة من عبديس

يهودي يتحدث عن خسة فصيلته

وفي عبديس . . وهي قرية عربية كان اليهود قد احتلوها سابقاً حين زحفت عليها القوات العربية من التلال الجنوبية الغربية المشرفة على القرية . . وقد كان الهجوم عليها ليلاً . . وفي أطراف عبديس كان اليهود يقاومون بشدة عنيفة . . الا ان في منتهى الطرف ذاك كانت تسمع طلقات متقطعة من ذلك الجانب وعندما بزغ الفجر لاح من ذلك الجانب رجل لم يبد مقاومة ولم ينهزم مع اخوانه اليهود المنهزمين . . وها هو يبدو مستسلماً كلما تقدمت منه القوات . . وها هو وقد صاروا على مقربة منه يبدو وكأنه مستخف بكل شيء . . لافرق عنده بين ان يطلق عليه الرصاص فيقتل او يقع أسيراً بيد جنودنا . . امر برفع يديه فاطاع . . وتقدم منه جنودنا فاستسلم . . وقد روى لنا فيما بعد قصته فقال :

كان يعيش معي في هذه المستعمرة بقية عائلتي التي فنيت في اوروبا في الحرب الماضية اختي وامي ، وارسلتني قوات الهاجانا مرة منذ ايام في مهمة لبث ألغام في طريق ما ، لأضعها في

طريق السيارات التي تمر منها قواتكم ولسوء الحظ او لحسنه لم تنفجر تلك الألغام وسلمت سياراتكم وسلمتم واستوليتم على المركز ، فاشتبه بي رجال الهاجانا وارادوا ان ينتقموا مني ، فقتلوا أختي وأمي وزجوا بي في هذه المعركة معكم في الصفوف الأمامية ! . . ونجحت خطتي في الاستسلام اليكم لا انتقاماً من الهاجانا وقتل أختي وأمي ، بل لأنني لا أومن بالفعل بهذه الحركة الصهيونية الخرقاء التي نصيبها ونتيجتها الفشل المحقق .

وانني اتطوع لكم للادلاء بالمعلومات التالية عن طيب خاطر فالحامية معززة بعدد كذا وكذا واننا نرسل جواسيسنا للاختلاط بالكثير من الناس لانهم يتكلمون العربية كأبنائها ويأتوننا بالأخبار وقائد هذه المنطقة فلان الى غير ذلك من المعلومات التي ثبت لقواتنا صحتها وبعد ان سرد قصته أخذ الى مكان بعيد عن كل اذى او سوء .

في بيرون اسحاق

في الخامس عشر من يوليو وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل استيقظ كل من كان بمعسكرنا وفي خلال نصف ساعة فقط كنا نركب سياراتنا ونصفحاتنا ونتجه نحو

مستعمرة (بيرون اسحاق) من جهتها اليسرى وتبعد عن غزة ٤ كيلو مترات شرقاً وكانت نقطة التجمع لقواتنا امام معسكر مهجور مهدم انجليزي ويبعد عن المستعمرة حوالي ٢ كيلو متر ومن هناك انتشرت قواتنا واخذت مراكزها الدفاعية مع نقاط المراقبة لترصد حركات العدو .

وبعد ذلك بساعة او يزيد تحركت القوات المصرية نحو المستعمرة من الميمنة ، وفي الساعة الخامسة بدأت الطائرات تلقي قنابلها على المستعمرة حتى الساعة السادسة صباحاً ؛ ثم جاء دور المدفعية الثقيلة فأخذت تلقي حممها وتدك حصون المستعمرة دكاً ؛ ولما آذنت ساعة الصفر وهي السابعة صباحاً ؛ بدأت القوات تزحف نحو المستعمرة تحت ستر النيران من اسلحتها المساعدة وهي الهاون والرشاشات الثقيلة .

كانت الحملة السعودية مزودة بـ ٧ حمالات و ٣ دبابات خفيفة و ٤ مدافع ثقيلة ؛ فتقدمت الحمالات السبع الى القطاع الشمالي لصد أية هجمات معادية يقوم بها العدو من مستعمرة (اللاسلكي) التي تقع شمال بيرون اسحاق وتحميها سرية كاملة اخذت خطوطها الدفاعية في مواقع حصينة مشرفة على مسافة خمسة كيلو مترات الى الأمام متجهة الى الشمال ؛ كل

ذلك جرى مكللا بالنجاح .

وفي الساعة ٧ و٣٠ دقيقة تقدمت السرية المهاجمة (سرية ع . ف) وكان في مقدمتها الثلاثة الدبابات متجهة نحو المستعمرة وفي اثناء التقدم بدأت مدافع الهاون تطلق قنابلها المتفجرة ومعها مدفع ال ٦ رطل على مواقع العدو الأمامية والخلفية ، وكان على قواتنا ان تحتل مركزاً للعدو هو وابور الماء مع دوشمتين تحوطها الاسلاك الشائكة والالغام فتقدم اثنان من المتطوعين الفلسطينيين الذين يعملون مع قواتنا والمختصين برفع الالغام وبدآ بعمليتها هذه تحميها فصيلة رشاش وكان يساعدهما بعض جنود الفرقة الهندسية لازالة الالغام،وقد تمكنا من تطهير طريق . . فتمكنت بذلك فصيلة من المشاة من الوصول الى الاسلاك الشائكة وقطعها بالقصافات ، وقد ازالوا اربعة الغام صغيرة مضادة للاشخاص .

ثم تقدمت فصيلة المشاة صوب الدوشمتين تحت كثافة نارية من رشاشات الماكنة التي من جراء نيرانها انهارت دوشمة من الاسمنت المسلح فتمكنت فصيلة المشاة مع احتلال الدوشمتين فتسنى اذن لقواتنا من احتلال موقع حيوي هام من المستعمرة .

تابعت السرية المهاجمة تقدمها الى ان وصلت على بعد ٢٥٠

باردة من المستعمرة فتوقفت الدبابات عن المسير وذلك خوفاً من الالغام المثبوتة حول الاسلاك الشائكه التي تحيط بالمستعمرة بالرغم من ستر مدافع الهاون والرشاشات والمدفعية ٦ رطل من الخلف ! .. ولما تحرج الموقف ووصل الى هـذه الدقـة تقدم الجنود السعوديون بكل رباطـة جأش وضبط اعصاب واضعين نصب اعينهم الوصول الى المستعمرة مهما كلفهم الامـر وكانت الطريقة الوحيدة لاختراق الاسلاك الشائكة هي نسفها بالبنجلور (الديناميت) . فتح هذا الفصيل ثغرة بالاسـلاك الشائكة ، ومن خلالها تقدمت فصائل المشاة حاملة سلاحهـا في وضعيـة الطعـن مهللين مكبرين (الله اكبر . . الله اكبر) ودخلوا المستعمرة تحت ضغط مقاومة شديدة صدرت من العدو واحتلوا الدوشمات التي كانت مقررة لهم على الخارطة من القيادة وهي خمس دوشمات ، وكان اذ ذاك ان سكتت المدفعية عـن الضرب .

بدأت المقاومة ثانية من الدوشمتين رقم كذا و كذا ... فأرسلت اليها ما كينتـان من الرشاش وفصيلة هاون فأصلتهـا ناراً حامية وقذفتها بقنابلها قذفاً مدمراً .

بدأ الجنود البواسل بكل جرأة واقـدام بتطهير المنازل والدوشـم ، وكانت مرحلة شاقـة اسـتعملت فيها الخناجر

والسكاكين والحراب والمسدسات والتماسك بالايدي والمصارعة انها لساعة رهيبة لانها مقابلة للعدو وجهاً لوجه واشفاء الغليل منه ، وفي جوانب ضيقة ومنطقة لايعرف الجندي المهاجم مسالكها ولا مداخلها او مخارجها . وكانت هذه بشكل لولبي وذات ابواب متعددة حتى انه كثيراً ما كان يلحق جندينا الباسل باليهود الذين كانوا يفرون من امامه . . ثم ما يلبث ان يرى هذا العدو وقد تخلل احد الابواب ولف وراء جندينا فيجد جندياً آخر من جنودنا يحمي ظهره ويطعن اليهودي ويقضي عليه . وكثيراً ما كانت تحدث المصارعة والمسك بالايدي كما قلنا فتكون الغلبة لجنودنا على اليهود الذين دب في قلوبهم الرعب عند ما يقابلهم العربي وجهاً لوجه .

استغرق احتلال هذا الدوشم ساعة وعشرين دقيقة ، اي في الساعة ٨ و ٣٠ دقيقة كانت قواتنا قد قامت بتنفيذ كل ماكان معهودا اليها من عمل بدقة تامة . . كان التقدم بكل حذر وحوص بقفزات سريعة ؛ وكان التركز بالمواقع الجديدة الامامية يجري بنجاح تام ، وكان يعجبني من جنودنا هذه الطاعة العمياء ، لم تكن تجد اية مجادلة او نقاش بأي امر يصدر قط ، فعندما كان يصدر لفصيل من الفصائل امر بالتقدم ١٠٠ خطوة مثلا كان كل جندي يحمل سلاحه من هاون او عتاد او رشاش او

بندقية ، ويتقدم المائة خطوة تماماً دون اي تردد تحت وابل من رصاص العدو ، ويتمركز في المركز الجديد بكل رباطة جأش وحماس .

كان من ضمن هذه الخطة ان خصص قطاع الميمنة كما ذكرنا الى كتيبة مصرية تعززها السيارات المصفحة والحمالات والمدافع الثقيلة والدبابات الخفيفة ؛ وكانت الخطة المرسومة لاحتلال هذه المستعمرة هو اختراق الاسلاك الشائكة من قبل الوحدتين على الاقل في وقت واحد ، ولكن لسوء الحظ لم تتمكن غير قواتنا من فتح ثغرة بالاسلاك الشائكة وتقدمت لوحدها وتغلغلت في المستعمرة وبقيت مسيطرة على الموقف كل السيطرة ، ومما زاد حراجة الموقف تعطيل الاجهزة اللاسلكية عن العمل فتعسر الاتصال برئاسة الكتيبة المصرية للاستفسار عن موقفهم الراهن .

اخيراً لم يكن بد من الاتصال بهم . فسار قائد حملتنا (ع . ه) وسرت معه بسيارة جيب كان يتساقط عليها الرصاص كوابل المطر ، وحين تم الاتصال بهم وعرف الموقف جرى الاتفاق على ان تتقدم القوات المصرية مهما كان من الامر لان معظم المستعمرة غدا في ايدينا ويجب احتلالها بدون اي تراجع ، واذا لم يكن ذلك فينبغي سحب قواتنا من داخل

المستعمرة خوف القضاء عليها اذا لم يمكن تعزيز قواتنا وعلى الاخص اننا سحبنا كل ما عندنا من احتياط وقذفنا به داخل المستعمرة فتم الاتفاق على ادخال سرية من عندهم من الثغرة التي فتحناها .

ودخلنا المستعمرة واشرفت قيادتنا على الموقف هناك فوجدت ان المقاومة قد ازدادت واصبحت مقاومة عنيفة صادرة عن دوشمتين في طرف الميسرة التي لم يكن مقوراً تطهيرها بل كان مقوراً استدراج العدو اليها ، وكذلك من الدوشمات التي لم يحصل تطهيرها من الميمنة وعن فنطاس (خزان الماء) المرتفع وسط المستعمرة .

اليهود يعترفون لنا بالجرأة

كان قائد حملتنا يترقب دخول المستعمرة بالسرية الموعودة ثم خرج من المستعمرة وخرجنا . فوجدنا قائد الكتيبة المصرية الباسل خلف احدى الدبابات وكان مندفعاً نحو المستعمرة بمفرده ، فمنعناه من التقدم خوف القضاء عليه واحباط العملية كلها .

واتصل قائد الكتيبة بأركان حربه وامره بأن

يرسل سرية ، وحوالي الثالثة والنصف بعد الظهر تقدمت السرية المصرية وتمركزت خلف الدبابات ، ثم جيء بالحمالات ووضعت امام الدبابات وانتقل كل فصيل خلف حمالته ، واعطيت الاوامر للحمالات وللسرية بالتقدم الى الامام ، واعطيت هذه الاوامر عدة مرات ، وقد كان الضباط المصريون البواسل يتقدمون جنودهم مندفعين مشجعين متحمسين . . ولكن !..

وجد قائد حملتنا ان الموقف أصبح حرجاً جداً ؛ وخصوصاً ان العدو بدأ يطلق نيران رشاشاته وبنادقه على سياراتنا ، وبحثنا عن الحمالات فوجدناها وقد تركت القطاع بدون حماية ، ثم عدنا بها لنضعها في مراكزها .

ولما كانت في هذا الوقت الشمس تميل الى الغروب ، واذا كان لابد من الانسحاب اذا لم تعزز قواتنا في داخل المستعمرة التي اعتبرنا اننا احتللناها لاننا بداخلها والنقطة الهامة والاساسية والشاقة هي دخول أية مستعمرة ، ومادمنا قد دخلناها فقد تذللت ٩٠ ٪ في المائة من الصعوبة ! . .

انسحبنا الى المعسكر المتهدم بكل خفة وبراعة بدون ان تصاب قواتنا بسوء من دوشمات اليهود المقاومة وذلك لاننا طهرنا دوشماتنا المقررة لنا وقتل جنودنا ما لايقل عن ٥٠

يهودياً فيها ، في المعسكر المهدوم تفاهمنا مع القيادة المصرية بامدادنا بكتيبة اخرى ، ودخول المستعمرة ثانية بالليل لان اعصاب اليهود داخل المستعمرة قد تهدمت تماماً ومن اليسير جداً احتلال المستعمرة .

فعدنا بعد ان قهرنا العدو واعتبرنا عمليتنا ناجحة كل النجاح وسجلنا انتصاراً رائعاً لقواتنا ولجندنا الباسل الذي ينبغي ان نسجل له انه لايتراجع قط وانه اذا تقدم نحو العدو فلن يرجع الا قاتلاً او مقتولاً ، وان الله يده بعون ومدد من عنده . . وان العدو أصبح يرهبه بشكل مرعب ويفر من امامه عندما يتقدم هاتفاً (الله اكبر الله اكبر) ؛ وقد اذاع راديو الهاجانا يقول : يقاتلنا في القطاع جنود جدد لا نعرف ماهيتهم ولكنهم على غاية الجرأة والشجاعة والتفوق .

من أمثلة البطولة

(ص . ع) شاويش من قواتنا كان عليه يبقى في المعسكر للاشراف على الطعام هناك .

وفي حوالي السابعة صباحاً وقد كنت في مركز القيادة المصرية للمعركة في الميمنة ، رأيت احد جنودنا يتقدم نحونا

على غير هدى فناديته باسمه فتقدم نحوي ضاحكاً وقال : اين ربعي ؟ . . قلت له : من تعني . . قال : خوياي . قلت : وماذا تريد منهم ؟ قال : اريد اللحاق بهم والقتال معهم . قلت : ولكن المفروض عليك البقاء في المعسكر فقال بالحرف الواحد : « اريد اللحاق بخوياي فاما أحيا معهم أو أموت معهم ، وقد تركت عند (الانجويـة) وكيلا عني واتيت لألحق بربعي » قلت : بل تعال لجانبي ، وربعنا في الجهة اليسرى وسآخذك بالجيب بعد حين وجلس الى جانبي وكأنه على نار ؛ واخذ القواد المصريون يتفرسـون في هذا الشاب الجريء الطلق المحيا الذي يفيض بالكلام الجريء الحماسي فيضاً ، واخذنا نداعبه ونعجب بجرأته قال : قنبلة ، ١٠ ، ٢٠ ، ٣٠ يضربها العدو ، مايهم ، وبالنهاية ندخل المستعمرة ، ياموت شهيد ياتعيش سعيد ! ! . . الله الله !.. وبعد برهـة اخذناه معنا بالجيب الى القطاع السعودي ، فيرى اليوزباشي (س) الذي ينتمي الى قبيلته ؛ فينحو عليه باللائمة يقول : كيف تتركني في المعسكر وتذهب تحارب . ماذا تقول قبيلتي . الله الله ! . . ويقـول له اليوزباشي : أين سونجتك ؟ فيقول : ليس عندي سـونجة سأظفر بواحـدة من العدو . اقتل يهودياً وآخذ سونجته ، فيقول له رئيسه : لاتفارقني قط .

وبعد لحظات ينفلت من رئيسه ويدخل المستعمرة ، ويقتل ثلاثة يهود ! ! .

تحية لفرقة الاقتحام

في ليلة الهجوم على المستعمرة بالذات حدثت ضوضاء وضجة في ناحية من نواحي معسكرنا فذهبت كاخواني لأرى ماهنالك فسمعت احتجاجاً شديداً من جنديين من جنود فصيل الاقتحام يوجه الى ضابط هذاالفصيل لأنه امرهما بالتخلف وكاد هذان الجنديان ان يبكيا ، وقد توسلا لديه بكل مايمكن التوسل به وتدخلا على الضابط ان لايحرمهما من شرف دخول المعركة ، ولم يكن بالامكان اقناعهما ، وما كان من حل لهذا الموقف الا اشراكهما بحمل بعض القذائف والعتاد للفيصل لكي لايشعرا انهما متخلفان ولكي يراعى شعورهما ويعتز كل جندي برجولته واقدامه .

لقد ابلى فصيل الاقتحام بلاء مدهشاً جداً . وقد قتل رئيسه (غ) سبعة عشر يهودياً ، وما أجمل منظر أحد افراده وهو شاب في السادسة عشرة من العمر حين عاد من المعركة وأخذ يقص علينا كيف قتل اربعة في داخل دوشمة

وكيفية العراك المرير الذي جرى بينه وبين من في الدوشمة وكيف ان الله لم يصبه بأذى ؛ وان الاعمار والاقدار بيد الله .

فالى هذا الفصيل مني تحية خاصة .

خطبة ما تمت وللّه الحمد..

هنالك في بيروت . .
قيل لي أنها متعلمة . . وفاضلة .. ومن بيت كريم . .
فسعيت اليها . .
وتعارفنا . .
وفي جلسة واحدة وضعت كل أوراقي على الطاولة ..
في هذه الاقصوصة . .
فأنا لاأعرف أنصاف الحلول . .
ولا الانتظار الطويل . . الطويل . .
وافترقنا الى الابد . .

عزيزتي الفاضلة . . . . . .

لست أدري بم أبدأ حديثي اليك أول مـرة . . ولعمري

ليس من الصعب ان أتحدث اليك . . . الا انني ولو كنت موقناً من صدى ووقع حديثي اليك . . الا أن الزمان والحوادث جعلتني اتحفظ في الحديث . . . . . وقد كنت اود لو انطلق على سجيتي . . . فابثك الشوق والحنين . . . وابثك صدق العاطفة . . وما تركت من اثر في نفسي . . . ولكنني اخاف حواء . . اخاف ان يؤخذ هذا رخيصاً فاكون من الخاسرين . . وانا رجل اعتز بكبريائي . . . وقد كان هذا الكبرياء رأسمالاً رابحاً في كل حين . .

لوددت والله ان اتحدث اليك وان تنصتي . . او ان انصت وتتحدثي . . الى ان تلتقي أنغامنا صداحة شجية . . ويكون لقاؤنا نغمة الأبد . . ولحن الزمان والأيام . . ولكن . . . اخشى . . . . . ولست اريد ان تفهمي من خشيتي هذه انني متشائم وغير شجاع . . . معاذ العلا . . انني ابتسم للايام مهما قست . . وماعاملتني الايام وما اعطتني الا فوق ما استحق . . . ولكنني حريص على ان تستمر الايام ناعمة هادئة هنية . . ولذا تريني أخشى المجهول واريد ان اقابل من يجعلني احلق في الآفاق غير هياب ولا وجل . .

ولست اعلم من نفسيتك الآن شيئاً . . لست اعلم الا انك

كنسمة الصباح في ايام نيسان . . . لست اعلم الا انك صافية الفكر نقية الضمير . . راجحة العقل . . هـــذا الانطباع الذي استطعت ان اتأثر به في يوم او يومين .. ولكنني لاأدري كيف تريدين أن نلتقي . . . أفي منتصف الطريق . . . ام في ذرى جبل . . ام في واد غير ذي زرع . . ام على ضفاف غدير . . ام في سهل منبسط . . ام على شاطىء بحـر مضطرب الامواج ام هادئها . . ام في يوم ماطر ام عاصف ام غائم السماء ام صاف رائق . . لست اعلم كيف تريدين ان نلتقي . . أغـد السير في رمال الصحراء على جمل بثوب وعباءة و كوفية وعقال ..وسيف وخنجر . . ام على صهوة جـواد . . بهاز وعنان وبريتشز وجزمـــة . . ام بسيارة متواضعة ام فخمة او بين بين . . ام بطائرة . . ام على حمار اعرج . . كيف تريدين ان نلتقي .. بعد ان يتعبنا السـير الطويل والكلام الكثير . . والحجـــة والاقناع والنقاش والجدال الذي لاطائل او طائل تحته .. لست ادري . . . . اتريدين ان نلتقي وحـــدنا . . نتناقش ونتجادل ونتصافى .. او يدخل في كل مرة الأصدقاء والجيران والأقارب واهل لبنان وفلسطين والسعودية . . ام نحل مشاكلنا لوحدنا دون ما حاجة لاحد قط . . معتمدين على العقل والعقل فقط في كل مرة . . فنلتقي ونلتقي ويكون لقاؤنا أعذب لقاء . .

لست ادري مم ركبت نفسك . . أمن الصفاء والهدوء .. ام من العنف والقسوة . . . ان كل ماعلم انني منذ قابلتك وانا افكر كيف يجب ان نتفاهم . . وماهي الاسس المطلوب بناء بيت مثالي عليها ؟ انني اطمع بهذا البيت المثالي . . واراه أمراً لابد منه في حياتي المقبلة . . ولست خيالياً ولامغرقاً بالأوهام والأحلام فيما اطمح اليه . . ولكنني اريد من يعينني على ذلك . . ومن يفهمني حق الفهم ولا يسيء الظن بي . . ولا يسيء فهمي قط . انني قادر على خلق الجو الملائم لذلك . . فقد وهبني الزمان من التجارب والخبرة مايجعل هذه النية اموراً واقعاً قابل التنفيذ . . ولكن احياناً كثيرة اجد نفسي انني اعيش في خرافة . . فاضحك واضحك واهزأ بما افكر . . لانني أرى امامي كل يوم كثيراً من السخف والحيلة لهدم كل رأي واجتثاث كل تفكير . . لجعل الابيض اسوداً . . والاسود ابيضاً . . ارى المنطق يتحول الى لا منطق . . والمعقول يتحول الى لا معقول . . ويسبح الناس في حوآمة لا اول ولا آخر لها . ومع يقيني ان الله اعطى العالمين كل شيء بحيث يستطيعون ان يعيشوا متفاهمين متحابين . . بعيدين عن الأذى والشر والوقيعة . . اعطاهم الطبيعة الحلوة الضاحكة . وسخر لهم الماء والسماء . . والارض . . . وكل مافيها من خيرات ليعيشوا

خير عيش . . مطمئنين راتعين . . كل يكد ويجد في سبيل عيش نظيف دون ما مشاكل ولاتعقيدات وارتباكات . . ولكن يأبى الناس الا ان يبحثوا عن المتاعب فيجدوها جمة . . . . فيفرون من النعيم الذي فرضه الله لهم الى جحيم من النقاش والجدال . وغالباً ما يكون الحسد القاتل هو العامل الهام في (خبطة) المقاييس . . وقد فرض الله بكتابه العزيز التسامح . . فاذا بنا نختار التطرف في الدقة التي تؤدي الى طريق طويل شاق لايخلف في النفوس الا الآثار السئية . . ولا يخلف الا الجراح التي كلما اوشكت على الالتئام كلما عادت فنكأت واتسعت . . وقد فرض الله علينا ان ندفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بيننا وبينه عداوة كأنه ولي حميم . . فاذا بنا نتنكب هذا الطريق فنفتش عن العداوة . . . . . وبينما نتعب في كسب الصديق اذا بنا نخسرهم جميعاً دفعة واحدة ودون ما سبب . . وقد فرض الله ان نمر باللغو كراما . . فاذا بنا نبحث عن اللغو . . ولابد من ان نسحقه في مهده اذا بنا نجعل من صورته الخيالية انساناً نقاتله ويقاتلنا . . وما هو في الواقع عدو لنا . . انما نحن اعداء انفسنا . . وقد لانحتاج في اغلب الأحيان الا لقسط بسيط من الصبر والاناة والحكمة (وعدم التسرع) لتنجلي امامنا كل السحب . . ويزول كل سوء تفاهم اغلب

مايكون من اختراعنا نحن . . ومن صنع تفكيرنا . . .

سيدتي العزيزة الفاضلة . . .

استمحيك المعذرة والعفو . . فقد تجدين في هـذا الكلام السخف والهراء .. وقد تكون مثلك ارفع بكثير من هذه الترهات التي أخوض فيها .. وقد تكون عقليتك في مستوى اعلى واعمق مـن هـذه الابحـاث . . وقد يكون ما قرأت في بطون الكتب اجل واسمى من هذا الذين تقرأين . . وقد اكون اضيع وقتك بالاستماع الى . . ولكن . . .

ولكن . . مع علمي بهذا كله . . لا اجـد مانعـاً مـن الاسترسال بنثر افكاري . . والتحدث اليـك . . فالمرأة التي تعطيني (الشرارة) لن اتركها دون ان أفرغ جعبتي عندها . . فان كانت هذه الجعبة افرغ من فؤاد ام موسى . . او كادت هذه الجعبة قوية مكينة كجبـال الارز . . او الجرمق . ملآى بالدر والياقـوت . . او بالحصرم والعلقم . . او بالقمر الدين والخشاف . . فما عليك الا ان تتقبليها صابرة . . فالصبر وحده .. كان دائماً العامل الاول والاخير في حل العقد . . . . وهـو مـن صفات اولي العزم . . وقـد تقولين في نفسك . . ما اغناك عـن سماع هذا كله . . فأقول وبماذا سأحدثك .. كيف سنتعارف..

ونتفاهم . . مادامت ايامنا التي نلتقي فيها محدودة . . ومادامت السويعات التي نقضيها معاً . . . لاتجعل لنا المجال الذي نستطيع عندها ان نتبحبح ونتكلم بكل مايجول في خاطرنا . . واذن فالزمن عامل مهم . . . ونريد ان نفيد منه ما امكن . . ولا ندعه يمر مراً سريعاً دون ان نترك اثر يذكر . .

قد تقولين ياعزيزتي الفاضلة واسمحي لي ان احدثك وادعوك كما اريد – انك من ربات الفكر . . وارباب الفكر ذوو عقلية خاصة . . واسلوب خاص في الحياة . . قد لايكون من الممكن تغيير نمط حياتهم واتجاههم . . فأقول هذا هو بالضبط ماكنت افتش عليه وابحث عنه . . . فأنا من هؤلاء الذين يطمحون الى ان يخلفوا أثراً ما . . وارجو ان يكون حميدا في هذه الدنيا وعلى ذلك فيسعدني ان تشاركني انسانه رشيدة فيما اطمح اليه . . وان تساعدني وتمدني بالوحي وقد يكون بالارشاد والهدى . . والتوجيه . . وقد يكون هذا من اهم الأسباب التي اخرتني او بالأحرى جعلتني متردداً محجماً عن الاقدام على هذه الخطوة (الجريئة) في حياتي حتى الآن . . . فأنا اريد ان استمر في انتاجي . . وانا اريد ان لايكون اقتراني بسيدة مهما كانت فاضلة وعظيمة سبباً من اسباب تقاعسي عن نيل ما اصبوا اليه . . وان كنت مبالغاً في تصوير

مطامحي . . جموحاً . فانني ارجوك المعذرة . . ان آمالنا جميعاً – كثيرة في هذه الحياة . . وقد ننال اكثرها . . او بعضها . . . وقد لاننال منها شيئاً . . وعلى كل حال نحتاج الى كثير من التركيز والدقة . . وفرز المستحيل منها على حده والممكن منها على حده . . لنكون عمليين واقعيين في هذا العمر السريع .

وعلى ذلك لست اتردد في ان اشجعك وادعوك الى الاستمرار في نشاطك الذهني لكي تسيري قدماً واسير معك لكي نبلغ معاً (بعض) غاياتنا السامية واهدافنا النبيلة . . . وقد تكون هذه الدعوة ثقيلة عليك في اول الأمر ... ولكنها ستكون لذيذة ممتعة عندما تجدين أثرها محفورة على الأيام يعتز بها ابناؤك ويباهون بها اجيالهم . . .

واذن . . واقع الأمر . . نحن نشترك بل نلتقي عند هدف سام جليل . . . انه روحي وذهني وسنحترمه . . ثم نلتقي في روح السبورت التي يحملها كلانا . . ولاشك اننا سنمارس بعض انواع السبورت (المتيسرة) . . لنكون سبورت روحاً وجسماً . . ولست افرض الآن اننا تلاقينا كلياً ... فقد يكون ذلك مبالغة مني في التفاؤل . . . فاذا كان ذلك لم يعد هنالك

معنى للحياة . . . عندها تكون الحياة رتيبة لالذة فيها لنقاش او لشحذ فكر في سبيل الاقناع والجدل . . ان وجهات النظر لن تلتقي تمام اللقاء ولا حتى في الفكر الواحد . . ان ما افكر فيه اليوم صواباً قد اصل بجدلي مع نفسي غدا الى انه خطأ . . وهكذا . . واذن فلن اجعل او لن تجعلي من حياتنا روتينا معينا كي نطرد ونقتل عامل السأم . . . وعلى كل حال فالنفس القلقة الطماحة لن يجد السأم اليها سبيلاً . وهي دائماً خلاقة مبدعة في كل مجال تكون فيه . . ولن ترضى عن أي حال تكون فيه او تصل اليه ومع هذا فنحن أبناء هذه الأرض لسنا ابناء السماء . . . وابناء الأرض لن يصلوا الى الكمال المطلق مهما جدوا في السعي وراء هذا الكمال المطلق . . فكثيراً ما يتعثرون ويخلفهم الحظ الاعسر حطاماً بالية . . . وكثيراً مايرفعهم الحظ الوردي الى مصاف كريمة . . وان كنت لااعتقد كثيراً في هذا الذي يدعونه الحظ . . فالحظ ياسيدتي من صنع يدينا . . . وعوامل الحظ هي الحساب الدقيق . . . والفكر الراجح . . والسعي والدأب والكد . . وانتهاز الفرص . . التي تخطيء اليوم . . وغداً وبعد غد . . ثم (تصيب) في يوم من الأيام اذا ما ثابر المرء وصبر . . وجد في دأبه وعاند . . فالعناد مفيد في بعض الحالات التي تستدعي الجرأة

والاقدام دون ما تهور او طيش . . .

ولست اريدك ياسيدتي الفاضلة ان تأخذي فكرة بكتابتي هذه انني املك ناحية كل امر . . . وانني الحصيف الرشيد الحكيم . . . لااريد منك ان تظني بي خير الظنون . . فقد يكون ذلك مني غشاً وخداعاً . . . وتغريراً . . . ولست ازعم انني رجل بريء من هذه كلها . . الا انني استطيع ان اجزم في هذا الموقف الكريم انني اريد منك ان تعرفيني على حقيقتي العارية . . . واريد منك ان تثقي وثوقاً ابدياً انني سأبقى على حقيقتي العارية امامك . . . وساحاول ما وسعني الجهد ان انال ثقتك . . وان نلتها فانني ساعتبرها اغلى ما نلت من ثقة . . وان كان الحظ خدمني في حياتي فهو في هذا المضمار الذي نلت منه قسطاً عظيماً . . فقد خدمني الحظ فجعلني انال ثقة الكبير والصغير . . القاضي والداني . . بين كل فئة وجماعة . . وكانت هذه الثقة خير زاد لي . . . . في العسر واليسر . . في الضراء والبأساء . . . والنعماء . . والرخاء . . . ورحت اتخطى المصاعب واجتاز العقبات . . . واركب الهول . . شجاعاً ثابت القدم . مؤمناً بان النصر والظفر لي في النهاية . . . مؤمناً بان الله يعطيني دائماً ما هو خير لي وماهو عز لي . . . وما هو مجد لي . . لانني لا احسد ولا احقد . . واحب الخير للانسانية جميعها ماعدا

الفئة الباغيـــة العاتية الطاغية التي سلبتنا الوطن . . . وهنالك تراوح في نسبة حب الخير للانسانية تختلف طبعاً باختلاف التقاليد والعادات والأرض والوطن . . . .

انني اكتب اليك الآن بهذه الحرية والصراحة فارضاً اننا قطعنا مراحل في التفاهم الروحي . . . ولست ادري لماذا هذا الفرض . . . اللهم الا ان اكون اعلل نفسي بان يكون هنالك صدى ما اشعر بـه من الطرف المقابل . . . وقد يكون هذا مبالغة في التفاؤل واشتطاطاً في الخيال ولكن لماذا لاافرض هذا الفرض . . واي غبن علي منه . . حتى وان كان هـــذا سيكون مدعاة لاستدرار الشفقة والرحمة في النهاية . . . ومع ذلك فلست ارى في ذلك حرجاً قط . . فنحن الرجـال قـــد صهرتنا الأيام . . وقلبنا الزمان ذات اليمين وذات الشمال . . . وعلى جنوبهم . . . حتى صرت اتبرم باية حالة اكون فيها . . وحتى صرت الآن مستعد لقبـول الجمل والخيمـة والرمـال والشمس المحرقة والتلذذ والاستمتاع بها جميعاً . . . كما انا مستعد للاستمتاع بالقصر والـكاديلاك وشتى انواع الرخاء والنعيم . . واجد لذة حقيقية في كل حـال اجـد نفسي ضمنها . . . وقـد تكون هذه فلسفة العاجز ولكنها فلسفة مريحة على كل حال وليس معنى هـذا القناعـة . . بـل اتقبل ايـة حـالة على علاتها

واسعى لتحويرها وتحويلها لصالحي في النهاية . . . وهـذا لاعتقادي ان كل حلة يمكن تحسينها ولاعتقادي كذلك ان كل حال يزول . . . والرجل الرجل هو الذي يصنع الايام ....

عزيزتي . . .

قـد لااكون خارجاً على اصول اللياقة والكياسـة واللباقة حين اتحدث بصراحة عن فلسفة الحب والجمال . . . وانا عبد خاضع لهما ماحييت . . ولكن مما لاشك فيه في حالة الاستقرار العائلي يكون الحب وتمجيد الجمال والتقدير الخالد للروح . . . للكومباني . . للرفقة الطيبة وانا مصمم بعون الله على زواج مثالي . . . على بيت مثالي . . انشد فيه الراحـة والنعيم . . . . مصمم على ان تشاطرني سيدتي المقبلة كل انـواع نشاطي . . . مصمم على ان نهتم اول مانهتم بالبيت . . على ان لانقطع عن المجتمع . . . بل نخدمه بوسالنا الرفيعة لاننا قطعة منه . . . وقد لااكون مداهناً او مماثـاً او مبالغـاً اذا قلت انك خير من تتصف بهذه الصفات العالية . . وانك خير مـن تستطيـع ان تتكيف لخدمة هذه الاغراض الرفيعة . . .

قال لي قائل انك قد تضيقين بحياة قد تكون رتيبة . .

فقلت ان ذات العقلية النيرة المتوقدة لاتعترف بان هنالك حياة رتيبة .. فنشاطها وعقلها يجعلان في كل يوم جديداً ... واصحاب الانتاج والذهن يخلقون من تأملاتهم حتى في صميم الصحراء ما يجعلهم في متعة ذهنية متجددة ... وحتى انهم ليجعلون الدنيا من حولهم زاهية ضاحكة ناعمة .. وقال لي قائل آخر انك من النوع الذي يستطيع التكيف بقدرة ومهارة واقبال اينما كان في هذه الدنيا . في الدنيا الجديدة ... كما هو الحال في الدنيا القديمة ... في الكوخ كما في القصر ... في التقاليد المحصورة الضيقة كما في التقاليد الممتدة الفسيحة الجامحة ... ولكن في كل حال بوقارة واعتزاز وانفة .. ترضى لها الكرامة والنفس الابية والعزة والحمية والمروءات التي نجدها ونكبرها في النفس العربية الكبيرة ... وقدارتاحت نفسي لهذا القول ... فان المرء الذي يعتز بعائلته .. ويحيطه ويحافظ على هذه الكرامات لجدير هو نفسه بالتمجيد والاعزاز .. وجميل دائماً ان يضيف المرء هو بنفسه الى مجد وكرامة عائلته مجداً جديداً .. فانه بذلك يكون قد رد لهم جميلهم بتعبهم على تنشئته وسهرهم عليه سهرا طويلاً على تربيتهم له تربية صالحة ليعتزوا به وينخروا عندما يدخل معترك الحياة فيكون انساناً او انسانه يشار اليه او اليها بالبنان ....

فاذا كنت ياسيدتي تشعرين ان باستطاعتك ان تعتزي بي . . . ان تحبيني وتحترميني بنفس الوقت . . او انني استطيع ان أوثر عليك لأولد فيك هذا الحب والاحترام . . . . فعندها اكون ذلك الفارس الذي يستطيع ان يساير ويسير على قدم المساواة مع هذه الفارسة . . . في حلبة نضال الحياة وفي ميدان كفاحها . . . لكسب قصب السبق في مضمارها الطويل . . الشاق . . اللذيذ . . .

لايزال في جعبتي بقية من حديث . . . وكلما حاولت ان انتهي من الحديث اليك عدت لأبدأ من جديد . . . . .

لقد قال لي قائل ان ليس بك غرور العلم ... فقلت في نفسي هذه نعمة وأية نعمة . . . فالمرء يستطيع ان يفرض نفسه على المجتمع الذي حوله بخلقه قبل علمه . . ويستطيع ان يفرض نفسه على الدنيا بسلاسة ولباقة او ربما بعنف وقسوة بانتاجه . . . وماذا نحن والانتاج . . . ان المرء مهما جد وكد وانتج يشعر انه انما يلهو ويعبث . . . ويمارس موايا من الهوايات فطريق الخلود صعب وشاق وشائك . . . وربما شعر المرء احياناً انه يجب ان يعيش مئات السنين ليصل الى بعض رغائبه ويصل الى ان يكون معروفاً بانتاجه الى اوسع حلقة ممكنة

في عالمه الذي يعيش فيه . . وما نحن في هذا العالم سوى ذرات صغيرة بسيطة . . . فجدير بنـــا ان نؤدي وظيفتنا على خير ما يكون اتقان الواجب واتمامـه . . . فنعيش مستريحي الخاطر هادئي البال بضمائر مطمئنه الى اننا بذلنا جهداً فما ضاع الجهد ... بل اثمـر واينـع وأتى أكلا حلالاً طيباً . . . .

وقال قائل . . . انك تعيشين عيشاً رغداً . . . وان علمك ومعرفتك قد درت عليك خيراً ورزقاً . . وانك تشغلين منصباً موموقاً يتمناه كبار رجال الفكر والعقل والجـاه . . . وان كل اسباب الرفاه ميسرة لك . . ولكن . . . . .مع هذا كله تتطلعين بشغف الى شيء مجهول .. ان نفسك ليست راضية تمام الرضا عن كل ما حولك من رفاه ورغد ومتيسرات ... ولست ازعم ان الذكاء يخيل لي ادراك كنه ذلك المجهول ... لا ... ان متوسطي الذكاء . . . بـــل بسطاء الادراك يعرفـون كل المعرفة ان المرأة العاقلة لو اوتيت حكمة سليمان ومال قارون ومعرفة الانبياء فلن يشغلها شاغل في الدنيا عن ثلاث . . :

البيت

الزوج

والولد

وان كل امرىء رجلاً كان ام امرأة .. يشعر بنقص كبير في حياتـــه .. في أي مجتمع يكون فيه اذا خـلا الى نفسه ... انه لن ينال الاحترام التام الكلي الا اذا وجـــد اعقاباً له يتعب في تربيتهم وتنشئتهم كما تعب ابواه عليه من قبل انه لن يرضيه شيء ... لن يشبـع رغبته اي مجد يدر كـــه كهذا المجدالذي يناله برؤية من يحمل اسمه من بعده .. وانك لعلى حق اذن في ان تنظري الى المجهول نظرة حق وصدق .. كما انظر اليه انا .. وكما ينظر اليه كل حصيف راجح رشـــيد اذا جاز لي ان ازعم لنفسي انني من هؤلاء .....

سيدتي

رغم هـذا المنظار الذي انظر فيه الى نفسي ... تجوزاً وافتراضاً ... فقد تجدين من يطعن بكل هذه الافتراضات ... ويشرحني تشريحاً ذميماً ... وينتقدني انتقاداً مراً ... ومـع هـذا وذاك أرجوك رجاء حارا ان لايضيق صدرك بما قـــد تسمعين ... فأي الناس تصفو مشاربه ..... ويسرني ان احدثك عن هفواتي واخطائي ... وما خلفه الزمان في نفسي من عقد .. قبل ان يحدثك الغير ... ولكن لن اتنازل قط عـــن ان اثبت في معرض الحديث هذا ... وعن ان اقول ان كل

هفوة وخطأ قد خلفت بنفسي أثراً كبيراً افدت فيه خبرة كبرى وان هذه التجارب والاختبارات لاتقدر بثمن . . . بل لابيعها بكل ما في الدنيا من مال . . فلست نادماً على اي نازلة نزلت او كارثة حلت او فادحة ألمت... ففي كل جراح كنت اجد البلسم الشافي . . والمطهر والمعقم . . . فكانت الجراح في كل مـــرة وكأنها نياشين النصر والظفر في ميادين الحياة المختلفة . . . ..

فان اعجبتك فلسفتي ياسيدتي اولم تعجبك . . فان رأيت فيها من الرجاحة والرشد والاصالة . . . او عزوتيها الى سخف وسطحية ومباهاة لا لزوم لها . . فأنا في الحالين راض عـــن نفسي . . . معتز بها . . . ولا بد من القول قبل ان اضيف – لاسمح الله – جرحاً الى جراحي فاقول انني . – على ســـبيل الاحتياط وعلى سبيل اسوأ الفروض – اتقـدم اليك وانا معتز بكل خصائصي . . بكل العوامل والمعـادلات التي ادت الى تكوين شخصيتي على ما هي عليـه الآن . . . . معتز كل الاعتزاز بانفتي و كبريائي واحترامي لنفسي في كل حال مـــن الاحوال وظرف من الظروف . . معتز بكل ما جنيت وتعبت وعرقت وحصلت عليه بجدي و كـدي ونبل تصرفاتي واهدافي ومبادئي . . . . معتز بصداقاتي وصلاتي المحترمـة التي جعلت لي مكانة رفيعة ومركزاً مكيناً عند كل مـــن عرفني . . . .

وخصوصاً في المحيط الذي أنا فيه . . . حيث بحمد الله نلت من الشهرة والاسم العاطر في كل وسط . . من اقصى البلاد التي اعيش فيها الى اقصاها . . سواء أكان ذلك من كتاباتي او اذاعاتي او ما سمع عني . . وانني اعيذها نظرات منك صادقة ان تحسبي هذا الاعتزاز مني غروراً وطيشاً . . . ومباهاة وكبرياء وصلفا . . .

لا . . . لا . . ياسيدتي . . . لقد علمني الزمان ان اكون سيد نفسي . . ان اثق بنفسي بعد ثقتي بالله . . ان اتقدم بكبرياء وانفة دمثين مقبولين لانفرة فيهما ولا – عنطزه – دون ان يعرف الذل او الاستجداء والاستخذاء الى نفسي سبيلاً قط ما حييت باذن الله . . فان ظفرت ببغيتي ظفرت ظفراً عزيزاً كريماً . . . وان رددت رددت رداً كريماً . . . تاركاً في كل حال فرجة تحفظ على نفسي خط الرجعة . . ولا تحملني مالا طاقة لي به . . وتحفظ علي كرامتي وسمعتي . . ولا تضغط على اعصابي ضغطاً شديداً . . .

اظن ان هذه الرسالة بعد قوائتها بتمعن قد تساعدك على ان تكون عندك فكرة . . . . . تستطيعين عندها . . . وعلى ضوئها ان تقرري بشأن مصيرك ومصيري . . . والله

علم . . . . .

ويقول قائل :

ان الرجل والمرأة اليوم . . وخاصة في شرقنا العربي اليوم في حلبة سباق . . انهما في اصطراع دائم . . كل منهما يريد تثبيت شخصيته والتفوق على الآخر . . كل منهما يريد ان تكون له الكلمة العليا .. والرأي النافذ . . ويتحمل كل منهما في سبيل ذلك ما يرهق الأعصاب وما لا يطاق . . . كل منهما يريد لنفسه كل شيء . . يريد ويريد . . ولا يعرف مايريد بالضبط وعلى ذلك يسيران في حلقة مفزعة لا أول لهـــا ولا آخر .. وقد يبقيان على هذا الحال سنوات وسنوات . . الى ان يلتقي طرفاهما ... وتستقر اوضاعها في النهاية . . . بعد تعب وارهاق وسير طويل . . . وقد لايلتقي طرفاهما فيبقيان في اتون مـــن النفور . . . في بيت على ضدين منضم .

ومما لاشك فيه ان لنا تقاليدا وعادات على غاية مايكون من العظمة . . . ولكن جاءتنا اوضاع اخرى . . . ودخلت على تقاليدناوعاداتنا تقاليد وعادات اخرى ... لانقول انها اجتثت الاولى وافتلعتها ... ولا نقول انها افسدت الاولى وشوهتها ... ولكن نقول انها عاشت جنباً الى جنب مع الاولى . . . وهي

وان كانت تختلف عنها تمام الاختلاف الا انها لا تستطيع ان تطرد الاولى لأنها في صميم حياتنا وفي جذور تكويننا . . . ولكن لابد من احترام الطارىء الدخيل وافساح المجال له ليترعرع مع الآخر . . . ويعيش لاعيش الكدر والمقت بل عيش الصفاء والود . . اذن كان لابد من معادلة جديدة لابد من تعديل للعادات والتقاليدالأولى . . فمن الناس من استطاع ادخال هذه التعديلات دون ما شطط ومسخ . . . ومن الناس من انساق انسياقاً افسد عليه الماضي والحاضر والمستقبل... فتشوه وانمسخ الاول والآخر . . وصار يخف به الهزوء والسخرية في الحالين . . .

اذن سعيد سعيد من استطاع ان يمسك طرفي الحبل باحكام وحكمة . . سعيد من وفق لأن يكون في الحالين فارساً لاعثرات لجواده . . . سعيد من يستطيع ان يتخطى الحواجز والحوائل دون ما آثار بالغة (ودمامل) مقروحة . . . وبصراحة اكثر . . . ادخل الغرب على عاداتنا الشرقية حاجات كثيرة لاعهد لآبائنا واجدادنا بها . . . ولايمكن اهمالها والتغاضي عنها . . . لأننا نعيش الآن في مجتمع مزيج من الشرق والغرب . . . اذن فنحن لانملك الا ان نتكيف بحسب هذه المعادلة الجديدة . . ولقد تعثرت الأجيال

التي سبقتنا تعثرات خطيرة قاسية . . . لقد كان في الماضي كثير من المآسي والكوارث التي هدمت الكثير من القيم . . واوقعت الانحلال والتفكك في كثير من الأسر . . . وزلت اقدام واقدام . . . . وهوى كثيرون و كثيرات . . . ولم ينج من الزلل الا من عصم ربك . . وكانت كل هاتيك التجارب والاختبارات خير عظة ودروس للمتمعن الحصيف الواعي من ابناء هذه الأجيال . . . ولم يكن سبب تلك الكوارث الا الانوار التي كانت تبهر الانظار . . . وذلك العطش والجوع والكبت وخنق الحريات . . . والا لأن الرجل كان يخاف ويرتعش من المرأة . . . وكذلك المرأة من الرجل . . . لم يكن الا بسبب الغول الجاثم في الصدور . . . لم يكن الا بسبب الرواسب التي ورثها الأبناء عن الآباء وما يتخلف من اثر ذلك في النفوس من عقد يسعى الشاب حين يبلغ مبلغ الرجال جهده ويبذل خلاصة سني شبابه ليجتث تلك الرواسب ويقتلع تلك العقد . . ويبدو رجلاً يرضى عن نفسه في النهاية او يرضى المجتمع عنه . . او بعبارة ادق ترضى به المرأة وتعتز به وتثق به وتعتمد عليه . . .

وهذا لايعني انني ارجح الانسياق الكلي نحو التربية الغربية والتعامل العائلي الغربي . . انني اعني انه يمكن الأخذ

من هذه المواد الطارئة . . . البعض منها . . . بل خير مافيها لعمل (صحن) مخير على (مائدة) شرقية . . . بين جملة (الطبيخ) الشرقي . . . . حتى يجد كل زائر من جهة ولون . . . كل ماتشتهي نفسه وتلذ عينه على هذه المائدة المختارة . . والحياة ياسيدتي . . . الحياة العائلية هي هذه المائدة بالضبط . . هي هذه (الصحون) التي تقدمها العائلة على مائدتها . . . للضيوف . . وتقدم معها المرطبات والافادية (والصلطات) والكلام العذب . . . والنكته الحلوه . . والمجاملة الرقيقة . . . فاما ان يحن الضيوف والزائر الى مثل هذه المائدة . . . ويشتاق لمثل هذه الدعوة اليها . . . واما ان يستثقل مثل هذه الدعوة . . . ويعتذر عن قبولها . . . .

سيدتي . . . ارجو ان لا اكون مبالغاً ولا متهوراً في تشبيهاتي فاذا كنت اغرف اليوم من معين وحيك . . . .

واذا كانت القريحة تتفتح سيالة متدفقة . . . فان الفضل فيه كل الفضل يعود الى تأثير شخصيتك في تلك السويعات علي . . .

ولست في الواقع اعلم اذا كنت محقاً في اظهار عواطفي . . على حقيقتها . . . في مثل هذا الموقف الكريم . . فالمرأة منذ ان كانت حواء على الأرض لغز تحار في فهمه الالباب . . . .

منهن من يتقدم اليها بقلب سليم ونية صافية وسريرة طاهرة ... لايستعمل معها اساليب المراوغة والدهاء ... فلا يعجبها من هذا المظهر ... وتزور عنه ... وتتركه حطاماً .. او على الاقل تتركه وعلامة استفهام كبيرة مرتسمة على محياه ومحيا الاكوان جميعاً ...

ومنهن من يتقدم منها بحسب خطة مرسومة يتعب في حبكها ورسم خطوطها ومعالمها كقائد محنك يرسم على الورق وعلى الرمل لنفسه ولجنوده ميدان المعركة .. متيقناً من النصر والظفر في النهاية بهذا القلب الذي يحاوره ويداوره .. فيجد في النهاية ان حظه لايقل عن حظ صاحبه الذي دخل المعركة لايملك قلماً ولا ورقة ولا سلاحاً .

اذن ليس هنالك قاعدة ولا تكتيك لكسب القلوب في عالمنا المضطرب هذا ... ولسنا نعرف كيف يلتقي قلبان... ولا كيف تتجاذب الارواح ... وكل ما نعرف ان هنالك دفعاً وجذباً وانه في حالة الدفع .. يستطيع الحكيم الراجح ان يحول الكفة الى جذب – في بعض الحالات – غير المستعصية على اننا جميعاً عبيد الزمن .. فالزمن عامل مهم في العمل على التوفيق او التنفير ... وعبيد للرأي العام ... فكلمة واحدة

قد تثير زيداً او عمراً . . وقد تقيمه وتعقده وتخرجه عن صوابه ورشده . . . ولذلك فالرجل الرجل هو الذي يكون عبداً خاضعاً لعقله وتميزه قبل الانقياد لتأثير الآخرين عليه . . فكم افسد الناس حياة اثنين . . كم افسد الناس حياة عائلات وعائلات . . . وكم افسد الناس حياة جماعات وجماعات .. والعاقل العاقل هو الذي يعرف مايريد بالضبط وينفذ الى مايريد دون ما اهتمام قط بما يسمع من كلام وفساد مقصود او غير مقصود . . .

وقد يكون هذا الكلام بحد ذاته ياسيدتي باعثاً على الشك والحذر . . ولكنني اعني ما اقول . . اعرف حقيقة مجتمعنا . . . وحقيقة ماتنطوي عليه نفوسنا . . ولقد علمني الزمان مالم اكن اعلم وأنا غفل القلب من قبل . . ومع هذا فما غير الزمان من صفاء نفسيتي شيئاً وفوق هذا فانني اتكلم الى عقلية متنورة فوق العادة بكثير . . . وعلى ذلك فلن يؤخذ كلامي الا على محمل كريم . . ولن يكون له الا خير صدى ان شاء الله . .

سيدتي

لست اعلم اذا كان سيساعد قضيتي او قضيتنا المشتركة اذا قلت لك انني اعجبت بوالدك . . وانه اثر بي تأثيراً كبيراً . . لست اعلم اذا كنت تظنين ان هذه لباقة في طرق باب عاطفي يساعدني في كسب ودك وقلبك . . لست هو كذلك بل هي الحقيقة التي فوق انك ترضين عنها تعتقدين بصحتها . . وكم يسرني ان اطرق كل باب يدخل السرور والاطمئنان الى قلبك . . . وانه ليسرني لو امكنني ان اسخر لك الشمس والقمر . . ليسرني لو استطعت ان اجعل الدنيا زاهية مرحة ضاحكة امام عينيك . . . ويسعدني لو جعلت ايامك كلها اعياداً وبشراً . . . يسعدني لو نحلق في السماء نسمو على كل اعتبار . . . ونتسامى حتى نبلغ الذرى . . فنعيش فرحين ضاحكين لايصيبنا هم ولا غم ولا اسى او كدر . . نعم . . ياسيدتي . . لكم يسرني ويسعدني ذلك كله .

لست ادري ياسيدتي . . هل تفيد هذه الكلمات التي تحن لها الصخور البكم . . هل تفيد هذه التمنيات والاماني العذاب . . هل من فائدة من تحبير وتسطير روائع الكلم . . هل من فائدة لو طرقت كل سبيل واستعنت بكل واسطة . . هل من

فائدة لو جمعت لك واستندت بقضيتي على كل ما قال شيلي وقيس وبيرون وجيته في الحب . . . وكل ما قال الاوائل والاواخر في اسمى ما وصل اليه ارتباط قلبين . . وانسجام روحين . . هل من فائدة لو اتيت بالف شهادة حسن سلوك . . واقسمت امام الله والناس انني متقدم اليك كخير ما يتقدم الاطهار الابرار الاحرار . . هل من فائدة لو أتى اهل السماء والأرض يحاولون اقناعك على صلاحيتك لي وصلاحيتي لك . . . هل من فائدة . .

هل من فائدة . . . لو جمعت لك الف لو مثل هذه . . اذا . . . اذا . . ماذا اقول . . .

سأقولها ورزقي على الله . . . .

اذا لم اعطك الانطباع المطلوب والتأثير الرائع . . او تأثيراً اي تاثير . . من اول مرة من اول لقاء . . . واول جلسة . . .

اذا لم ترتاحي الي كما ارتحت اليك ياعزيزتي الفاضلة . . . فانصحك ان لا تقدمي .

ولست اخشى الصدمة . . بل لاترفقي بأن تصدميني . . لاتبالي باعصابي . . فصدمة قوية ودفعة واحدة خير من رجات تتبعها رجات ورجات . .

كوني قوية . . استخيري الله . . واجزمي . . فاما نعم تضيء لي الدنيا . . . واما لا . . فبلاد الله بعدها واسعة . . .

وارجو ان تكون النعم الخالدة في نفسي النعم الخالدة في مستقبلي وحياتي . .

والى اللقاء . . . .

★ ★ ★

عدوٌ واحد .. وأمنيةٌ واحدة

لم يكن لها الا عدو واحـــد في هذا العالم . . والا امنية واحدة . . امنيتها ان تتعرف الى عدوها . . وترى وجهـه ولو مرة واحدة قبل مغادرة هذا العالم . . كانت حيرى تتفرس في كل وجه وتتأمل كل عابر . .

هي في ثورة نفسية دائمة . . جعلها ذلك الحادث عصبية المزاج . . دائمة الهياج نافرة من كل مجتمع . . لاتستقر في مكان . . ولا يهدأ لهـــا بال . . لاتتكلم الا كلاماً مقتضباً واذا لججت في حديثك معها ثارت عليك وصاحت في وجهك . . وقذفتك بالشتائم واللعنات . . واشاحت بوجهها عنك وولت هاربة غير عابئة بك ولو كنت على اتم الصلات معهـا او اقرب الناس مـودة لها . . ولابد لهذه الصلة من ان ينتابها التفكك والانفصام او على الاقل الوهن والفتور لهذة الثورات الجامحة وهـذا التقلب الفجائي في مزاجهـا . . ولكنك لاتلبث حتى تحن اليها لتعاود صلتك بها . . فهي بعـد . . فتاة لعوب . . طروب . . فتية . . ذات صوت شجي . . ودعابة مرحة . . وفكاهة ونكته . . وبديهة متوقدة . . وجمال مؤثر . . ومرح صاخب . .

ولكن رغم كل هذا ، مسحة مـن الصمت الكئيب كانت تغمر سيماءها وتعاودهـا بين الحين والآخر فيعاودها نفورهـا من المجتمع وثورتها الجامحة ومقتها للناس .

مضى على ذلك الحادث المشؤوم ثلاث سنوات . . كانت ذكراه تقضي مضجعها وتسلبها الراحة والسكون . .

وفي احد ايام شـــباط الباردة . . غادرت هـذه الفتاة

هي ورفيقة لها القدس حيث تسكن لقضاء بضعة ايام في احدى المدن الدافئة . . وقضتا اياماً في حيفا المدينة الصاخبة . . وحيفا مدينة اللهو الجائع . . حيفا مدينة الليل الطويل . . حيفا مدينة الجد والهزل . . وحيفا مدينة الثراء والجوع . . فيها المجد للعامل المجد . . وفيها البوار والضياع للمتهتك المتلاف . .

وقضتا ايامها متنقلتين في سفوح الكرمل بين جبالها واشجارها . . وزهورها ورياحينها . . وبين تلك الملاهي الصاخبة . . في رقص ممتع ولهو بريء ومرح عابث . . وسهر متواصل . . في ليالي حمراء عندما ينغمس المرء في رمضائها يدركه النصب . . ويهاجمه الصداع وتخور قواه ويركن بعدها الى الراحة اياماً ينشد فيها السكون والبعد عن الضوضاء والجلبة والميل الى الوحدة والانعزال عن الناس ودنيا الضجيج والصخب . .

وعزمتا على الابتعاد عن المدينة الصاخبة كلياً . . ووقع اختيارهما على قضاء ايام السكون والراحة في مدينة هادئة منشطة ساحرة دافئة . . هي طبريا . . وحزمتا امتعتها ووجهتها هذه المدينة الرائعة . .

وهنا تبدأ القصة . . وتثبت الصدف الخارقة على ان

الانسان مسير لا مخير وما تلك الجولة الطويلة الممتعة والشاقة ثم اختيار المكان الهادىء للترويح عن النفس الا من اجل حل لغز صعب تفسيره او حله ثلاث سنوات او يزيد . . هكذا تشاء الارادة الخفية الباطنة التي تقود المرء من حيث لايدري الى استكشاف المبهمات واستكناه الغيبيات وفك الرموز والطلاسم وما ليس في الحسبان ادراكه او الاطلاع على دقائقه او تفاصيله ولو بذل الجهد واعيانا البحث والكد . .

وطبريا . . قطعة من الفردوس . . بحيرتها الساحرة اوحت الى الانبياء واغرت السيد المسيح وفتنت المتنبي وهام بسحر مناظرها كبار الفنانين والرسامين فاستلهموها واستنطقوها فانطبعت خالدة في اروع رسومهم واجمل لوحاتهم ،

لولاك لم اترك البحيرة والى غور دفيء وماؤها شم
والموج مثل الفحول مزبدة تهدر فيها وما بها قطم
والطير فوق تحسبها فرسان بلق تخونها اللجم
كانها والرياح تضربها جيشاً وغى : هازم وستهزم
تغنت الطير في جوانبها وجادت الارض حولها الديم

بحيرة الجليل . . . ما أروعها في صمتها الرهيب . . وفي هديرها الصاخب العاتي . . وفي تموجاتها الرقراقة الضاحكة . .

وفي الاشكال العجيبة الغريبة التي ترتسم على صفحتها وتتغير في اليوم الواحد تبعاً لهبوب النسيم . . ولارتسام الغيوم وتشكلها في السماء ولانعكاس الجبال المختلفة في عين الشمس عندما تميل الى الافول . . كل ما يحيط بالبحيرة رائع وأخاذ . . . وتأبى هذه البلده الا وان تكون مواسمها متصلة دائمة طول ايام السنة . . فموسم الحمامات طول ايام الشتاء وموسم الحمة في الصيف ومواسم التنور والطابغة والبطيحة . . ايام الربيع . . وموسم الليدو طول ايام السنة . .

هما ظنتا انهما تنشدان الراحة والهدوء في طبريا . . ولكنهما وجدتاها غاصة بالزائرين من كافة انحاء فلسطين . . وبحكم غريزة حب الاستطلاع سألتا اين يقضي الزائرون اوقات تسليتهم ولهوهم . . فقيل لهما في الليدو . . فدلفتا الى الليدو لتشاهدا ماهو هذا الليدو ومن يؤم هذا المكان . . وكان استغرابهما شديداً عندما وجدتا ان المتأمل بمناظر ومحاسن الليدو ومفاتنه ومباهجه يكتشف انه من احسن اماكن العالم بهجة وفتنة وروعة وسحراً ولكن بعد . . ها هو ذا مكان صاخب . . وهذه الموسيقى الصداحة تشجي الاسماع . . . وها هو المكان مكتظ بالوافدين حتى ان قسماً كبيراً يضطرون الى العودة اذ لايجدون مقاعد للجلوس . . وها هي الغادات الفاتنات يراقصن

الفتيان الولد . . وها هو احدهم احمد يتقدم نحوها . . باحتشام ويطلب مراقصتها . . وها هي ذي تقوم لتراقصه . . وكان هذا الفتى اديباً في رقصه رشيقاً في نقل خطاه . . لم يتحدث الا ببضع كلمات مقتضبة عما يتحدث بـــه المراقص لأول رقصة مع فتاة لايعرفها . . وعند انتهاء العزف توقف الراقصون ورافق كل فارس بطلته الى مجلسها وحياها برقة وعاد الى مجلسه يحدث رفقاء مائدته عن غادته . . . . خفتها وبراعتها في الرقص او ثقل خطاها . . عن رقتها وذكائها واسلوبها في الحديث . . او عـــن نشوزها ونفورها وخشونتها في الرد عليه وتكلفها الحديث تكلفاً . .

وعاد احمد يحدث رفيقه فايز عن ارتياحه لرقصه مع تلك الغادة الغريبة الوافدة هذا اليوم فقط على طبريا . .

وبعد استراحة وجيزة . . عاد (الجاز) الى العزف . . وعاد كل فتى يطلب صيده . . ومشى احمد ورفيقه بسرعة لطلب الغادة اياها . . واحمد لرفيقتها . . واذ كان احمد ابرع في استدراج غادته الى الحديث واجرأ في السؤال والاستجواب . . تمكن من ان يفهم الكثير عنها وعن رفيقتها منذ اول الرقصة . . وزاد على ذلك بان دعاهما للجلوس حول مائدة واحدة . .

ما دامتا لوحدهما ولم يجعل لها مجالاً للتشاور والجدل . . بل عرفها موضع طاولتها واذ كانت قريبة منها . . . . اشار الى فايز ان يدعو رفيقته واذ رأت هذه ميلاً من رفيقتها لم يكن لها بد من قبول الدعوة وجلسوا جميعاً .. يتحدثون ويتفكهون وكان احمد لبقاً في طرق شتى المواضيع بحيث لايتطرق الملل الى الفتاتين . . وفايز يشاركه في الحديث بمقدار لما طبع عليه من الحياء والخجل في مجالس المرأة .. ولما اشتهر عنه من الجفاف لأول مقابلة . . فكان متحفظاً في حديثه مقتصداً في تندره وتفكهه . . أميل الى الرزانة والجد منه الى التبذل والمرح . . ولكن دعابة احمد ومرحه المتواصل لم يجعله يسلم من لذعات فتاتنا الثائرة التي لم يتخل عنها طبعها في اية جلسة او اي مكان وكان نفورها الصاخب وحديثها المختلط ومزاجها الحساس المتدفق كالسيل المزدحم يضفي على الجلسة رونقاً متعكراً تارة وصافياً اخرى ليعاود ثورته وجموحه بعد برهة لاتتجاوز الدقائق من الزمان . .

لم يكن بد لاحمد . . بما طبع عليه من ميل للترف وحب المظاهر البراقة وميل للظهور بمظهر الوجاهة والبذخ . . وبما طبع عليه من اظهار نفسه امام من يتعرف اليهن بأنه (الدون جوان) . . الذي تتهافت عليه الغادات . . لم يكن

له من ان يذكر مغامراته في بيروت في الجامعة الاميركية حيث كان وفايز يدرسان العلم والغزل .. وها هو فايز وقد تخرج السنة منها وتقلد منصباً في الحكومة وهو بعد لم يتم دراسته . . وقد أتى صديقه زائراً في عطلة الشتاء . . ظاناً بأحاديث مغامراته انه سيجلب التفاتها اليه وتقر عينه لهذا الالتفات منها كليهما او احداهما . . ولكنها في الواقع كان انتباههما موجهاً الى رفيقه الرزين المحتشم . .

والحديث ذو شجون . .

وخرج فائز عن صمته الرزين .. ونادى الجرسون بصوت أجش قائلاً : اربعة ويسكي . . . . دون ان يستأذن صحبه . . واسرع الجرسون بالويسكي لما رأى في وجهه من لهجة الجد والسرعة . . ورفع فايز بالكأس الى شفته بحركة عصبية وقال: نخبها . . . . واضطر الباقون لشرب نخب من لايعرفون عنها شيئاً . . ورشف من الكأس اكبر جرعة ممكنة . . واعاده بين يديه وقال : استمعوا الى قصتها . . او قصتي معها . . مادام حديث المغامرات والقصص قد طرقه صديقي وتركزت افكاري في تلك المغامرة النذة النادرة :

لست ارثي الا لحالها . . واود لو اراها مرة واحدة . .

وبرغم ما مر بي من حوادث . . لم تؤثر في نفسي سوى الحادثة التي وقعت لي معها بالذات ولم اندم في حياتي الا على ما صدر مني نحوها . . وسأبقى معذب النفس متألماً الى ان اجدها واستغفرها . . واضع نفسي بين يديها تصنع بي ماشاءت ان اصرت الا على الانتقام . . ورشف جرعة ثانية من الكأس الذي لم يزل بين يديه واعاده الى المائدة . . . .

منذ ثلاث سنوات كان ابي لايزال قاضي القدس الشرعي .. قبل احالته على التقاعد منذ شهور . . كما تعلمون . . وبينما كنت اقضي عطلة من عطلات السنة التدريسية . . بين اهلي واخواني . . في القدس . . وكنت لاازال يافعاً في العشرين من عمري . . لم اكن اعود للمنزل الا في ساعة متاخرة من الليل او لتناول الطعام . . .

وفي ليلة ما . . عدت للمنزل مبكراً . . في العاشرة مساء . . فوجدت بطاقة من زميل لي في المدرسة في بيروت محمد . . يخبرني فيها بقدومه وبانه ينتظرني في الفندق الفلاني .... فعرولت اليه مسرعاً . . فوجدته بانتظاري . . فنزلنا للتو من الفندق وصحبته الى قهوة (اوروبا) وكانت غاصة على رحبها لبلتذاك . .

وجلسنا نتجرع كؤوس الصهباء . . وكنت ايامذاك راقصاً ممتازاً يشار اليه بالبنان في حلبة الرقص . . وفي ذلك الوسط الصاخب . . وراقصت فتاة اعجبني شكلها . . ورقتها . . ورقصها . . وعدت اطلب مراقصتها للمرة الثانية . . . .

وفي المرة الثالثة . . كنت اتكلم اليها بطلاقة وتتلقى كلماتي ببشر واياس . . والتفت الى الزمرة التي كانت تجلس بينهم فوجدتهم يتأهبون لمغادرة المقهى وينتظرون انتهاءها من الرقصة معي لمرافقتها . . . .

لم يكن لي بد وقد اعجبني رقصها وكما قلت رقتها! وقوامها . . من ان اطلب اليها ان تبقى في رفقتي وصديقي وعلى الأخص لم يمر من الليل الا بعضه . . والناس في مرحهم وصخبهم لايزال لديهم متسع من الوقت للفرار الى مضاجعهم والركون الى الأحلام والوحشة والخيالات . . فوجدت في نفسها ميلاً لذلك . . ولكن قامت في نفسها مشكلة ادراكتها حالاً . . وهي . . كيف يمكنها ان تنفصل عن الزمرة التي اتت برفقتها ولا يليق بها ان تستأذن منهم للبقاء بصحبة من لاتعرفه او على الاقل من ليس بينه وبين زمرتها صلة المعرفة او الصداقة . . على انني كنت البق من الآن وأشد جرأة واقداماً . . فتقدمت

بعد انتهاء دورة الرقص من الزمرة . . وانحنيت نحوهم بادب .. وطلب منهم التخلي عن رفيقتهم وحجتي في ذلك البكور للفراش في تلك الساعـــة المبكرة . وانه يكون لي شرف معرفتهم وثقتهم في بقاء الفتاة معنا اذا لم يكن لديهم مانع ما . . وتجاه أدبي ومظهري الذي ينم عن الوجاهة والحشمة . . سمحوا بذلك وودعونا وانصرفوا . . ورشف ماتبقى في كأسه – ورشفت رفيقته – ورشـــف رفيقه ورفيقتها مافي كؤوسهم ونادى بصوت أجش : اربعة اخرى يا أسطى .. وعاود حديث قصته .. ولمعت في عينه بريق الذكريات فاضفت على وجهه مسحة من الكآبة والغم ، ثم مالبث ان انطلق لسانه باسف مرير وعاد يقول . . . .

نعم . . . تركوها . . . وانصرفوا . . .

وهنا قطع عليه احمد حبل تأملاته وخياله . . وقـال كمن يريد ان يبتر القصة . . وينهي حديث صاحبه :

وقضيتما معاً ليلة ساحرة حالمة كما يخيل الي مـن حديثك ولهجتك الوئيدة الرزينة .. قال فايز ساخراً : اهكذا تظن؟..

قال : لاشك في هـذا . . وانت تذكر ليلتك تلك مـع غادتك الفاتنة بالاســـف . . فنرجو ان تكون ليلتنا هـذه

مع هاتين الفادتين كليلتك تلك في بهجتها ورونقها . . واذا كان الأمر كذلك فهيا بنا نرقص هذه الرقصة التي اهواها وتهواها انت كذلك . . الفالس الذي يحرك بنا النشاط والمشاعر وروح المرح المتدفق . . . واوشك ان ياخذ بيد رفيقته للحلبة . . فحدجته رفيقتها بنظرة صارمة واومأت اليه بان لايغادر مكانه . حتى يفرغ رفيقه من سرد قصته . . فلزم مكانه . . . وعاد فايز يوبخه :

هكذا شأني معك . . دائماً . . وكم نصحت اليك ان تركن الى الجد والرزانة . . فلم تجد النصيحة . . ولكن . . لابأس . . سيأتيك اليوم الذي تعرف معنى الجد .. هكذا كنت قبل ان خرجت الى الحياة وقبل ان تركت المدرسة . . ولكن عندما أتم القصة تعلم ما سبب ميلي الى الجد والرزانة .. وتركي المجون الذي انت عليه والغرور الباطل الذي تتمتع فيه ... واستطرد فايز قائلاً :

وكنت يافعاً في العشرين من عمري . . متدفق الحيوية شديد الاعجاب بنفسي . . . . كثير الزهو والخيلاء . . اعتقد عندما امر بالشارع ان كل الفتيات ينظرن الي بافتنان وولهٍ .. ويطمعن مني بنظرة عطف وحنان تشبع مايتأجج في صدورهن

نحوي من عاطفة وميل ... تضحكون ؟ لا بأس ... فانا ادلي بما كان يجول في خاطري بصراحة وحرية مطلقة .. وتبعاً لهذه الخواطر التي كانت تخامرني .. تسرب الى وهمي – كنتيجة طبيعية – ان هذه الفتاة التي تركت زمرتها وانحازت الينا .. ما فعلت ذلك الا لأنها وقعت في حبائلي .. وانني اثرت فيها تاثيراً مطلقاً .. فهي منذ تلك الساعة طوع بناني ورهينة اشارتي ....

وكنا نتجوع كؤوس الويسكي تباعاً ليلتذاك .. ولا تفلت رقصة تمر دون ان اراقصها .. فكأن كل واحد منا كان يريد التفوق على صاحبه في حلبة الرقص فيظهر منتهى ماعنده من براعة في فن الرقص والرشاقة في اللفتات والحركات ومتابعة (الجاز) ... والانسجام التام مع التوقيع الموسيقي حتى ادهشنا الحاضرين ولفتنا الانظار واشبعنا رغبة حب الظهور الكامنة في نفسينا الفتيتين ...

وفي الواحدة بعد منتصف الليل وقد انفض السامر .. وتوقف (الجاز) من العزف ... ولم يبق في المقهى الا شلة بجانبنا قد غلب عليها السكر فكانوا يقهقهون باصوات مزعجة وبدأوا يترنحون .. ويكثرون من التنكيت والهزل ..

غادرت وصديقي بصحبتها المقهى .....

وهنا افتر ثغر احمد عن ابتسامة خبيثة .. فزجره قائلاً : رويدك .. فقد قلت لك الف مرة .. لاتتسرع .. في الحكم على النتائج .. واستمع .. واعتبر .. وعادت رفيقته فحدجت صديقه بنفس النظرة الحقيرة .. ورنت الى صديقها بنظرة التشجيع والانتباه لمتابعة حديثه .. وكأنها تستحثه على الحديث فاسترعت انتباهه بهذا التصرف .. وركز نظره فيها .. وقابل عطفها بابتسامة رقيقة .. فغرقت في شيء شبيه الذهول وعاد يقول :

وانصرفنا من المقهى .. وأنا احمل فكرة في يقيني ان هذه الفتاة التي ترافقني وصاحبي .. ستكون تحت تصرفي تلك الليلة .. ولم يكن اي حاجز ليقف دون هذه الفكرة التي رسخت في ذهني .. واسمحوا لي ان اكون صريحاً في تصوير تصرفي بعد ان غادرنا المقهى ولو ان في هذه الصراحة شيئاً من الخروج على تقاليد الحديث في مثل هذه الجلسة .. ولكن امانة الحديث تقيدني في ان اروي ما وقع بحذافيره .....

دلفنا الى الشارع العام ... وفي اثناء مشينا كنت أحاول ان اقترب من فتاتنا .. والصق فيها فكانت تتخلص من لصوقي بها بلطف وادب ... لم يقنعني هذا .. بل حاولت ان امد يدي

نحوها . . . فاطوق بها عنقها .. فكانت تتخلص من ذلك بلطف وادب ايضاً .. واغلب الظن انه لم يدر في خلدها ان اتصرف تصرفاً غير لائق معها . . واغلب الظن انها لم تتصور أنني انوي اي سوء نحوها . . وانها ليست الا مداعبة لاتلبث ان تنتهي بعد ان تضع حداً لها بصورة لطيفة معقولة . . واغلب الظن انها لم تكن تنتظر من شاب له مثل ثقافتي وتربيتي . . وعلمي . . ومحتدى . . ان اكون شاذاً عنيفاً لااخضع لقوانين الأدب واللياقة والعقل والمنطق . . اذا كانت تظن انها ستتغلب على هذه المداعبات فترد عني بلطف وتعيد الى نفسي احتشامها . . وثقتها . . ونبقى صديقين . . تربطنا روح الشباب المحبة اللهو البريء . . الرقص البريء والحديث البريء . . والصداقة النزيهة من كل سوء او خبث هذا ما استطيع تعليله وتحليله الآن . . اما في تلك الساعة فكنت الانسان المجرد عن انسانيته . . . . كنت

الوحش بارادته . . . . . .

تغلبت الارادة الوحشية في نفسي على كل عقل ومنطق . . تغلبت ارادة القهر وحب التملك والعنف والشراسة . . فأصبحت لا أفكر الا في شيء واحد : وهو كيف اقهرها لسلطاني ؟ . . واخضعها لجبروتي ؟ . . لماذا هذه الغادة التي اعجبت بها . . بروحها ورشاقتها . . وظرفها وجسمها . . . وانا لا اقل عنها

رشاقة وظرفاً وجمالاً . . . لماذا لاترضى بأن المسها ؟ . . . .
او اقبلها .. او او اليس الذوق وتقاليد الروح العصرية الجديدة
تبح كل هذا ؟ . . . . . او ليس معظم او قسم كبير جداً من
فتيات هذا الجيل يعتبرون ان ليس في هذه الدعابة وهذه القبل
مساس لشرفهن ومستقبلهن وكرامتهن . . وسمعتهن ؟ . .
وهذا مع انه اعتقاد خاطىء جداً جداً . . وله اعظم الأثر على
مستقبل الفتاة . . . في حالة خطوبتها او زواجها . . . وسماع
الخطيب او الزوج شيئاً عن هذا التاريخ او الماضي . . . ومع
هذا فهذا هو الواقع والمشاهد . . . . . .

حتى الآن لم تكن قد شعرت المسكينة . . الساذجة ..
الطيبة القلب . . انني قد انقلبت الى انانية . . مجردة . . . او الى
وحش خطر .. ولم يكن عقلي يكف عن اختراع الوسيلة .. وفجأة
ناديت من طرف الشارع : تاكسي . . وفي لمحة كان التاكسي
قد حاذانا . . وفتح السائق الباب وقال : تفضلوا . . ولحسن الحظ
كنت اعرف السائق معرفة طيبة . . ويحترمني اشد الاحترام . .
وبحركة آلية . . دون ان اجعل لها مجالاً للتفكير . . . اندفعت
الى داخل السيارة وقلت لها : هيا . . . فقالت : الى أين ؟ . .
قلت : الى حيث دارك . .
قالت : ولكنها قريبة من هنا ...

قلت : بل لابد من ايصالك للدار بتاكسي . .

فقالت : لك ماتشاء . . ودخلت السيارة مكرهة . . .

والتفت الى السائق واعطيته اشارة فهم مغزاهـــا . . وانطلق . . باقصى سرعة . . . فالتفتت الي وقالت مريبة : الى اين ؟ . . ليس بيتي في هذا الاتجاه . . .

قلت مازحاً : بل نعود بعـــد ان نقضي بعض الوقت في النزهة خارج المدينة .. ووثقت المسكينة من كلامي وصمتت ...

وتخطينا حدود المدينة . . وذهبنا بعيداً في طريق موحش وهناك افتر ثغر الوحش (أنا) عن ابتسامة الظفر . . . وظن انه . . قد تمكن من فريسته . . .

عاودت هناك مداعبتي لها . . فكان منها الاصرار على العناد . . والرفض . . للوضوخ لارادتي . . بل والازدراء . . والتحقير . . لعملي . . في هذا الظلام البهيم . . والقفر الموحش وهي عزلاء . . ونحن . . ثلاث رجال . . وهي فتاة بيننا . . تقاوم لوحدها . . خشونتي وغلظتي . . واعتزت بالمقاومة . . وركنت الى اباء وكبرياء . . لم اجده في فتاة . . وكان مني اصرار عنيف . . . وكان بيننا جدال وحوار . . وخصام . . وقراع . . ومرة ألجأ الى اللطف والرقـــة والتودد . . . . .

دون جدوى . .

اوقفت السيارة . . . نزلت منها . . واغريتها بالنزول . . فلم يطاوعها كبرياؤها . . ان ترفض . . وكانت واثقة من نفسها لدرجة عجيبة . . فهي تريد ان تقهرني . . وان تريني مقدرتها الفائقة على ضبط نفسها . . . وحفظ شرفها . . وصونها عفافها . . في كل موقف . . وكل مكان . . واستطيع ان استنتج الآن انها كانت ترغب في ان تعطيني درساً ولرفقائي . . لاننساه . . ويكون عبرة لكل شاب وكل فتاة . . عابثة . . مستهترة ...

نزلت من السيارة . . وحاولت . . وحاولت . .

دون جدوى . . . . .

وأخيراً رميت بآخر سهم في الجعبة . . . حاولت المحاولة الاخيرة . . اسرعت الى السيارة . . وأمرت السائق بالسير . . وتركتها وحدها . . في ظلام الليل . . في الطريق القفر الموحش . . وفي زمهرير قاصف . . . امرت السائق بالسير البطيء . . أمل ان اسمع استغاثتها . . اسمع رجاءها اسمع نحيبها . . بكاءها . . عويلها . . صراخها . . لاشبع رغبتي بالتشفي والانتقام على الاقل . . . .

دون جدوى . . . .

لم اسمع لها صوتاً . . اذا . . لم تكترث لسيرنا . . وليست تخاف البقاء لوحدهـــا . . ولا تفزع حتى من الليل البهيم والقفر الموحش . . ولا يسمح لها كبرياؤها بالصراخ والاستغاثة . . . وتظن انني هازل لا جاد . . في سيري وتركي اياها . . لوحدها . . اذا . . تريد ان تقهرني . . هي . . وان ارجع اليها بنفسي . . . وان اتنازل عن كبريائي – فاستعطفها . . وأتودد اليها . . حتى بعد ان اكون أنا ســـيدالموقف . . . هي الآن بحاجة الي . . هي التي يجب ان تستعطفني وتتذلل الي وترجوني . . وماذا يكون موقفي منها اذا رجعت . . ابتسامة السخرية القاصمة وامارات الاحتقار والازدراء في وجهها . . وعلائم التشفي والتعالي . . في وجهها . . . هل لي قبل بمواجهة كل هذه الحالات النفسية . . وأنا المعتز بنفسي المزهو بكبريائي . . . . . هل اسمح لفتاة ان تقهرني وتذلني ؟ . . كلا . . .

كل هذه الوساوس كانت تتدفع في مخيلتي في تلك اللحظات وعند اللحظة الاولى التي تحركت بها السيارة نحـو المدينة . . . تاركين وراءنا . . . فتاتنا الحزينة المسكينة . . بل فتاتنا البطلة الشريفة . . العفيفة العيوفة . . . وكنت انا الحزين المسكين الذي بقيت ولا زالت نفسي تتعذب وتتألم مـــن ذلك الموقف الرهيب . . . ولا زلت ارثي (نذالتي) في ذلك الصراع العنيف . . .

بين الرفعة والصغار . . . بين السمو والحقارة . . . بين الشرف والخسة . . . بين النبل والجبن . . .

وذهبت الى فراشي ونمت . . قرير العين . . لهذا الانتصار الذي احرزت . . ونام صديقي الضيف بجانبي . .

وفي الصباح . . . . . وقد استيقظت في الساعة العاشرة صباحاً . . بدأت استعرض حوادث الليلة السابقة . . واستيقظ العقل . . . والضمير . . . نهضت من الفراش في فزع . . وسألت صديقي محمد الى جانبي للتو :

ماذا حدث لها ؟ . . هل عاد اليها ؟ . . او على الأقل هل اوصى السائق بالعودة اليها ليأتي بها ؟ . . . هل هل . . . وامطرته مائة هل . . . تباعاً . . . فكان يجيب سلباً . . . . . ولكن . . كيف كان ذلك ؟ . . . الا تعلم ياصديقي كيف كانت حالتي النفسية في الليلة السالفة هل يليق ان تحذو حذوي في التجرد . . . وفي الشذوذ . . والخروج عن كل مألوف .؟... وقد كنت مالكاً زمام امرك . . وتمام وعيك ؟ . . وصببت عليه الوان اللوم . . . والتعنيف . . . .

وهرولت مسرعاً الى حيث السائق أساله . . هـل عاد وأتى بها ؟ . . فأجاب بالسلب . . . وانا الآن اقول . . او قد قلت وقتئذ انني لم افهم ان يتجرد امرؤ تحت تأثير العاطفة والجموح النفساني العنيف عن مروءته وانسانيته في حالة تغلب الارادة والتخلي عن التحكيم العقلي والمنطقي ولكن . . . . ان يتجرد ثلاثة . . في وقت واحد . . ان يتجرد صديقك على الاقل عن مروءته وانسانيته وشهامته . . . وما فطرت عليه روح الرجولة في الساعات الحرجة الرهيبة فذلك من اصعب واشق الامور على النفس . . . . ولكن . . . ما فائدة هذه الاقوال الآن ؟ ... وهذه التحليلات . . وهذه التعبيرات ؟... وقد نفذ السهم . . . وقد حصل ما حصل . . . ولم يفكر صديقي . . . في تلك الساعة المؤلمة . . من ساعات عمري . . . في تفادي ما حصل . . وانقاذي من تأنيب الضمير الذي انوء تحت عبئه حتى الآن . . والله اعلم الى متى . . . حتى اجدها ثانية . . . واستغفرها . . . وأقر لها بنذالتي . . . واسعى بخضوع وذلة . . . . . لاسترضائها واستعطافها . . . .

والتفتوا فجأة . . . فاذا رفيقته في الرقص . . قد اغمضت جفنيها . . . وشحب لونها .. وتقلصت عضلات وجهها . . ومالت برأسها نحو الطاولة . . . وافلتت يداها الى جنبيها وكانت تسند

بها رأسها . . . فاسرع اليها رفيقها المحدث واسندها بيده . . .
وقال . . . . بصوت عال جاهـــدا في اخراج الكلمات مـــن
بين شفتيه :

هي هي . . .

فأفاقت : والعبرات تملأ محاجرها . . . وصاحت . . .

بل أنا . . . أنا . . .

ومد اليها يده بالكأس . . . . وقال :

ارشفي رشفة يعد اليك وعيك . . . .

فقالت : بل جاهـــدت طول تحدثك بالقصة محاولة . . .
تماسكي . وحفظ توازني ورباطة جأشي . . . فما استطعت تملك
زمام امري في النهاية . . . وغلبني الاعيـــاء . . . . وطفرت
الدمـــوع من عينيها . . . . وتوردت وجنتاها . . . . ومسح
دموعها بيده . . .

وعادت تقول . . . أتريد تتمة القصة ؟ . . . فانصت :

بقيت فتاتك (أنا) هائمة على وجهها في حندس الليل . .
تنظر حولها . . فلا تجد الا القفر اليباب لا تجـــد الا الجبال
الشاهقة . . او الوديان الساحقة . . ولا تسمع صوتاً الا
لنعيق البوم . . . او اصوات الذئاب العاوية . . من بعيد . .

انتابتها الرجفة . . وتمكنت من جسمها الرعشة الحادة . . التي جعلت جسمها يضطرب ويهتز .. كمن نزل به صاعقة او اخترق جسمه الصقيع والجليد . . . واستقر في احشائه . . وكانت او وكنت اشعر ان الهواء البارد يخترق عظامي . . ولم اكن احمل معطفاً اتدثر به . . ولم يكن بد من المشي باتجاه ما ... لكي تخفف الحركة من حدة البرد وتسري الحرارة في جسمي . . . فوليت وجهي شطر المدينة . . . ومشيت . . . ولكن اين مني المدينة وبيني وبينها عشرات الاميال . . . .

ولكن . . . ارادة الحياة . . . ونضال النفس في ساعات الحرج . . . والضيق . . . فتوكلت على الله وسرت . . .

وبقيت اهيم على وجهي في هذا التيه . . ساعتين من الزمن . . كنت احسبها كطول سني اهل الكهف . . او كعمر الانسانية المديد . . . او كدهور الزمن والابدية . . . كان جسمي ينتفض لكل حركة حولي . . . ولكل نسمة من النسمات . . . ولكل صوت من اصوات الطبيعة . . واعتقد ان في كل حركة او نسمة او صوت نهاية أجلي . . . وعندما ينقضي ذلك الصوت او الحركة او النسمة أتحسس نفسي . . . واقول : . هل ما زلت حية . . . هل مازال في عرق ينبض . .

هل نقص مني عضو من الاعضاء . . . هل مازلت انا كما كنت؟..
حتى كدت اموت خوفاً وذعراً . . اقول الحق . . هذا ما كنت
اشعر به في تينك الساعتين . .

واخيراً . . وبعد مسير الساعتين . . وذعر الساعتين . . ..
وهول الساعتين . . . سمعت صوتاً . . من بعيد . . فانصت . .
واتجهت . باذني في اتجاه الصوت . . وبقيت جامدة في مكاني . .
الى ان اتيقن ناهية هذا الصوت . . وفي هـــذه اللحظات التي
كنت انتظر فيها للتعرف لهذه الاصوات التي اختلطت على سمعي..
كنت احسب الف حساب . . . وكان ذهني كأنـه في عمليـة
حسابية صعبة . . . كان عقلي يدور ويحسب اوتوماتيكياً . . .
كنت افكر في هـــذا الصوت فاعتبره . . عدواً مهاجماً ...
وافكر في كيفية الدفاع عن النفس . . او في كيفية الفرار..
او في الصراع الذي سينشب بيني وبينه . . وكنت على كل
حال اتمنى ان لايكون آدمياً . . . . . لانني لااظن ان حيوانا
مهما كان نوعـــه لايمكن ان يعاملني باقسى واوحش من معاملة
ذلك الانسان الذي تركني في هذا القفر الموحش . . . وتمنيت
ان تكون آخـرتي على يد حيوان مفترس فاتك . . . على ان
الاقي ثانية وجه آدمي .. ويجري له معه نفس الفصل الذي جرى
مـع ذلك الانسان المتمدن المثقف المهذب الجنتلمان . . . كما

يظهر على الاقـــل لاول وهـلة . . . . . واستسلمت للقدر . . ووهبت نفسي للقدر . . . وفر عني الخـوف والذعر . . وصرت كتلة متجمدة صلبة . . آلية . . تمشي على غير وعي . . وتسير على غير هدى . . . وصار رد فعل للجبن الذي ساور نفسي . . . فتملكت ناحيـــة نفسي . . وصرت كالشجاع المقـدام الذي لايخشى ولا يبـالي بالمخاطـر والمهـــالك . . . وكنت لا افكر الله كثيراً . . . .

واقترب هذا الصوت مني . . . واستأنست به ... عندما . . سمعت بجلاء . . . اصوات الماعـز . . والغنم . . وصفير الراعي . . ليجمع شعثهم ويوجههم في سيرهم وجهته . . فاستنتجت ان الفجر عما قريب يلوح . . واتجهت نحو الراعي . . . ونحو الماعز وكان لا بد لي من مصاحبة الراعي . . . ولو انني كرهت ان ارى وجه آدمي . . . ولكن . . لابأس ربما . . كان في هـذا الراعي البدوي الســاذج . . . الفقير . . الغير المهذب . . . الغير المتعلم . . . . الهمجي . . ربما كان في معاملته بعض العوض .... عما صدر من ذلك المتعلم الراقي المهذب . . ربما كان في مروءته وشهامته بعض العوض عن نذالة ذاك وحقارته ؟ . . .

وواجهتـــه . . وحييتـه . . . وجلة . . ولكن جمعت

اطـراف شجاعتي . . . وثقتي بنفسي فحياني باطف . . وبدت في ملامحه امائر المروءة ... والاستعداد لتقديم الخدمة ...فاستغرب وجودي . . فطمأنته . . . وازلت استغرابه باختراع قصة ... انني ممرضة . . جاءت لتولد . . . . احـــداهن . . في قـرية مجاورة . . وانني عدت . . في المساء . . . . . وضللت الطريق.. فاظهر الشفقة والحنان والعطف . . والاسف . . واستعداده للخدمة فطلبت منـه مرافقتي . . . للطريق المؤدي للمدينة . . . ومصاحبتي الى ان ينبثق الفجر . . . او الى ان تمر سيارة ... استطيـع ان اصل بها الى المدينة . . .

فرافقني الى الطريق وهـداني السبيل . . . وهـــدأ مـن روعي . . وقص علي بعض القصص المسلية ليذهب عني الوحشة وليدخل الاطمئنان على قلبي . . واعتبرني مستجيرة به . . . وحياني بتحية الرعاة في ازجـال رقيقة عذبـــة . . . وعزف بمزماره أصواتاً شجية وانغاماً مؤثرة . . . . . واخذ يســـرد علي اخبار (معلمه) ووجـوه القرى المجاورة . . . ويشكر الله على ما اسدى عليه مـن نعم . . وما ينوي مـــن اقدام على الزواج . . . بعد ان يجمـع المـــال اللازم . . . لمراســـيم الزواج . . . . .

فاستأنست به . . واقول الحق انني وددت مـن صميم قلبي

لو أتزوج هـذا الراعي . . . واعيش في كنفه بعيدة عـن وحشية المدينة . . ونذالة المدينـة . وتيقنت ان فقر المادة اهون بكثير من فقر الخلق . . ووهن النفس وصغارها . . . فسألت هذا الراعي الساذج : . .

وهـل اذا تيسر لك ان تتزوج مدنية . . . أترضى وتقبل ؟ . . فضحك الراعي الفاضل وقـال : لاياستي . . هـذا لايكون . . فأنا لست استطيع ان أعيش عيشها ولا هي تعيش عيشي . . . . . والطائر الذي يرتفع في الجو أعلى مما يستطيع يقع على الأرض ميتاً من الاعياء والنصب . . ومن صعد السلم دفعة واحدة يسقط وتدق عنقه . . . وأنا راعي واعرف قيمتي . . . . . واريد عيش الستر في هذه الحياة الدنيا . . . .

وأخرجت من حقيبة يدها مسدساً صغيراً كانت تحتفظ به لقاء (عدوها) . . وأهدته الى (صديقها) الآن . .

وبعد يومين كانا يبحثان معاً عن الراعي . . يهديانه المسدس وبضعة جنيهات ذهبية . . وفي اصبع كل منهما (محبس) الخطبة ! ! . .

لحظات الأبدية

هكذا تراءيت لي الأكوان..!!

(ليس حادث ٢ ربيع الاول الذي مر بالبلاد العربية ، فهزها هزة العنف والاسى ، بالمناسبة العادية ، التي تعمر قصيراً ثم تموت ولكنه الحدث العظيم الذي لن يزال منبع العواطف ، ومثار الاحاسيس وباعث الخواطر . واذا نشرنا هذه الكلمة فليس لانها حديث مناسبة فائتة ، ولكن لانها ترجمة عن عاطفة صادقة ، والعاطفة الصادقة منهل الادب الحي في كل زمان ومكان)

(اليمامة) رجب ١٣٧٣ هـ ـ مايس ١٩٥٤ م

من علم بلابل الروض هذا النغم ! . .

من اوحى الى الدنيا بهذا السكون الاصم ! . .

مالي لا أسمع حفيف الأشجار ،
ولا النسمات العـــذاب التي
تداعبها ! . .
ومالك ياهند ، وياخـــدرات
البوادي الرعابيب ، تنهمل
الدموع بصمت من عيونكن
النجل ! . .
وانت ياريا ح ! . مالك عزفت
عن مداعبة رمال الصحراء
فبدت هذه واجمة هادئـة
حاشعة ! . .
ويازهور المروج .. ياريا حين
الحـدائق والحقول . . أين
شذاك الفواح العبير . .
الذي كان يملأ الانوف
والدنيا نشوة وعطرا ! . .
وياقوافل الصحراء .. في وضح
النهار . . وفي الليل البهيم
يا دابة البادية الخالدة . .

مالك تتبرمين بالسير ، .
وتتعثرين الخطى ، ويطغى
وقارك على كل ماحولك
من كائنات ! . .
وأنت ايها العامـــل الكادح
المكدود . . ما بالك تقف
عـــن الحركة والعمل . .
وتزهد بالآلة التي هي سبب
رزقك ومعاشـــك . .
وتستسلم الى ذهـول حالم
عميق !
وانت ايها الفلاح المجد . . ياعمود
الامـة الفقري . . ما بالك
تطرح محراثك . . وتطلق
ابقارك في الحقل . . تمنحها
الحرية لتتنفس الصعداء . .
فلا تتحرك الابقـار . .
ولا تستجيب لندائـــك
الخافت الواهي الكليل ! . .

وانتم يارعاة البوادي والمروج ترغبون عن التجارة . .
ما لاصواتكم تخفت . . فلا بيع ولا شراء . .
واوتار قيثاركم تتقطع تزهدون في المال وما
متناثرة في الهواء . . تكرسون نفوسكم له
ومزاميركم لا تصدح الا وتتجهون بقلوبكم ونفوسكم
باللحن الحزين المتصل بالقلب الى الله .. وتدعون بالرحمة
الحزين ! . . والغفران . . تطلبون
وانت ايها الموظف . . وزيراً السلامة والعافية . .
خطيراً كنت ، سادراً في ويارجال الشرطة ..وعساكر
نعمائك وعزك..اومكدوداً المرور .. والحرس الخاص
تسعى وراء القمة وتنتظر ورجال الجهاد .. ما لكم
امر الدفع بفارغ صبر . . كالكتل متراصة .. ساكنة
مالكم كأن صاعقة وغير ساكنة .. تهمسون
اجتاحتكم جميعاً . او شللاً همساً ولكنكم كلكم
حل بكم . او كأن عيون يقظة ساهرة . .
سكينة نزلت على قلوبكم تنتظر الاشارة والامر ..
فلا تدرون ما تفعلون !.. وقلوبكم تقطر دماً . .
وانتم ايها التجار .. مالكم اليوم وكأنكم فقدتم أعز

ما تملكون ! . . حزناً ووجيعة وألماً . .

ويا رجال البادية . . يارجال ويا رجال المدينة والحاضرة . .

الجلاد والكفاح . ويارجال يا رجـــال العيش الهنيء

الشدة والبأس والبؤس . . والحياة السهلة الناعمة . .

ونحمل كل صنف مـــن يا أبناء الزمن اللاهي . .

صنوف شظف العيـــش ما لكم وكأنكم سكارى

والحرمان . . يا أول مـن وما انتم بســـكارى . .

ركب الذلول . . واستل حيارى . . وكأن كارثة

السيوف مـن غمـودها . . حلت بكم فلا تدرون

واطلق رصاص الحرية مع ما تفعلون . . ولا تفقهون

عبد العزيز في انحاء الجزيرة ما تتكلمون ! !

شـرقاً وغرباً . . مالكم ويا امهـات الجيل . . مالكن

تضربون كفاً بكف . . تضممن اطفالكن الى

وتلطمون الخدود . . وكأن صدوركن . . وكأن

اليتم أحـاط بواديكم . . عيونكن لأول مرة تقـع

ما لأبلكم وخيلكم . . عليهم . . ومـا لأطفالكن

وسيوفكم ورماحكم يتشبثون باهـدابكن ،

وبنادقكم . . تعبة كليلة وكأنهم لأول مرة يعرفون

مفلولة . . وكأنها تئن الأمومة . . وحنانها وعطفها

وقيمتها في هذه الدنيا التي ... حتى معاقل النفاق .. وابراج
لاتبقي على شيء .. ما لكن ... الخديعة والرياء والتضليل.
تهمسن في آذانهم ولأول مرة ... وحصون التدليس والكيد
تلقنهم معاني البطولة والوفاء ... والذل .. لم تستطع في ذلك
والشجاعة والصراحة ... اليوم المشهود ان تطل
والاخلاص التي كان يحملها ... برؤوسها بل قبعت هادئة
رجل واحد فذ بين ... مصعوقة في احجارها
الرجال ! ! .

ويا رجال العلم والدين .. والفقه ... الانفاس . . مقطوعة
والشريعة .. واللغة والأدب ... الاجراس . . وكأنها في
والشعر . . ما لقرائحكم ... مجاهل مقفرة يكتنفها الهلع
تبلدت . . ولعضلات ... والذعر . . وتخشى الظمأ
وجوهكم تقلصت . . ... والمسبغة والفقر . . فاذا
ولالسنتكم تلعثمت . . ... هنالك ! ! . .
ولاذهانكم تعطلت . . ... ومعاقل الأحرار . . تحدق
ولاصواتكم خرست . . ... الأبصار . . تراقب الاشرار
ما الذي ران على الابصار ... غواة الفتنة واضرام النار..
والاسماع والافهام . . ... ترجو البار الستار . . ان
ماذا هنالك ! ! . . ... تعم الطمأنينة ولا تكشف

الاستار .. فلم كان ذلك ؟..
واختل نظام هذه الرقعة
الواسعة من البسيطة . .
ولكن لم يحدث ما يدل
على اختلاف النظام فيها . .
فالناس في ذهول وشرود..
لايدرون ما يفعلون . .
حتى كأنهم غدوا آلات
صماء تسير بحكم الاستمرار..
فعادوا و كأنهم أشد نظاماً
مما كانوا عليه يوم فقد
النظام وانفراط العقد . .
وتشتت الاذهان . . فماذا
دهى الدنيا ؟ . . ماذا
هنالك ؟ . .
ورجال الفن والهندسة . .
والشركات والامتيازات . .
والدائن والمدين . . كل
يضع يده على قلبه خائفاً

وجلاً . . يهمس همساً رقيقاً
في سره يقول : الى أين نحن
سائرون . . وما هو
المصير ؟ . . فماذا دهى
الدنيا ؟ . . وذوو البأس
والسلطان . .
اختلت موازينهم . . وتبخرت
مقاييس العظمة لديهم . .
ما البأس . . ما السلطان؟..
ما المجد . . ما العظمة ؟ . .
أفق من غفلتك ياصاح !!..
كلهم قلوب واجفة . . وابصار
خاشعة . . كل قابع في
زاوية من زوايا ضميره ،
يناقشه الحساب الحساب
الشديد . . كلهم ينظر الى
اللامنتهي واللامحدود . .
ينادي من اعماق قلبه :
ياالله . . يارب الارباب . .

لا باقي الا انت ..
الأبدي ..
كل ذلك .. وفي غمرة ذلك
الملك لك يا الله وحدك ..
السكون الموحش
لاشريك لك ..
الرهيب الذي ظن الناس
ولكن .. كم دام هذا الذهول
انه نهاية الدنيا والأبدية ..
والوجوم ، والسكون
حين علا الآذان في دنيا
الموحش الرهيب . على
الجزيرة .. واعول الناقوس
الاكوان .. ومتى تبدد ؟..
فيا حولها .. وصاح « بلال »
متى عادت البلابل الى شدوها ..
من كل مئذنة :
والنسمات العذاب تداعب
الله اكبر .. الله اكبر .. الله اكبر
اوراق الشجر .. والمخدرات
حين نعى الناعي نجماً تألق
الرعابيب استبدلن النواح
نصف قرن او يزيد في سماء
واستقبلن الدنيا بزغاريد
الجزيرة ..
ملاح ؟ متى عادت الرياح
حين حمل الأثير رسالة الى الدنيا
تداعب رمال الصحراء ..
يقول فيها :
والرياحين تفوح بالعطر
مضى عبدالعزيز الى حساب ربه ..
والشذى .. وقوافل
دخل صانع التاريخ في ذمة
الصحراء تمشي مشيها الرتيب
التاريخ ..
مشى سيد الآساد الى عرينه
والعامل المكدود الكادح ..
والفلاح المجد القوي .. كل

الى عمله في المصانع
والحقول . . والرعاة الى
حدائهم وقيثاراتهم
ومزاميرهم . . والموظف
أياً كان . . والوزير
الخطير . . والتاجر والشرطي
وعسكري المرور . .
والحرس الخاص ورجل
الجهاد . . وابن البادية
والحاضرة . . والامهات . .
ورجل العلم والدين . .
وحتى رجل النفاق . .
والرجال الاحرار . .
ورجل الفن . . ورجال
الشركات . وذوو البأس
والسلطان . . والمساكين
والمحرومون . .

كل هؤلاء
عادوا كأنشط مايكونون

عادوا الى اعمالهم . . وحرفهم
وصناعاتهم . . جذلين ،
نشاوى ، فرحين . .
وعادت الطمأنينة الى
نفوسهم . . والبشر عم
الاكوان جميعاً . .

عندما سمعوا بالشطر الثاني
من لحظات رواية مأساة
النعي . . وكان الشطر الثاني
من رواية سفر الخلود هو
الكلمة المدوية الخالدة
التي تهللت لها النفوس
واستبشرت . . وكبرت
وحمدت الله كثيراً . . كانت .
مات الملك . . عاش الملك . .
مات عبد العزيز . .
يحيا سعود . .
والفيصل ولي العهد . .
سرت الفرحة في الاكوان

لأن هؤلاء هم حماة الكلمة
التي لاعروبة ولا اســـلام
بدونها .
الله اكبر .. الله اكبر..الله اكبر
لا اله الا الله.. محمدرسول الله ..
هؤلاء يعلمون ان الملك لله
وحده .. وما يفعل المرء
من خير يجده عند الله ..
وان الآخرة امتداد لحياة
الانسان الاولى ..
وان كل راع مسؤول عن
رعيته .. فكلكم راع ونحن
رعية ، وكل سيلقى ربه
فيحاسبه ..
وان الله يأمر بالعـــدل
والاحسان ..
وانهم مسؤولون ليحكموا
بالكتاب والسنة ..
وان يعمل المرء لدنياه كأنه
يعيش أبداً .. ولآخرتـه
كأنه يموت غداً ..

وأن ليس للانسان الا ما سعى
وان سعيه سوف يرى ..
وأن تدفـــع بالتي هي أحسن
فـــاذا الذي بينك وبينه
عداوة كأنه ولي حميم ..
وما يلقاها الا الذين صبروا
وما يلقاها الا ذو حظ عظيم
وان الارض يرثها عبادي
الصالحون ..
وان أي صعلوك يستطيع
الدخول على أحدهم في أي
وقت فيقول: ياطويل العمر
أنا مظلوم فاسمع ظلامتي
وانصفني ..
وهذا الشبل من ذاك الاسد
ومثل الاحـــرار العرب
والمسلمين تجد عند هؤلاء
المقام الاول .. وحسن
الدرس والاصغاء ..
مات الملك .. عاش الملك

◆ ◆ ◆

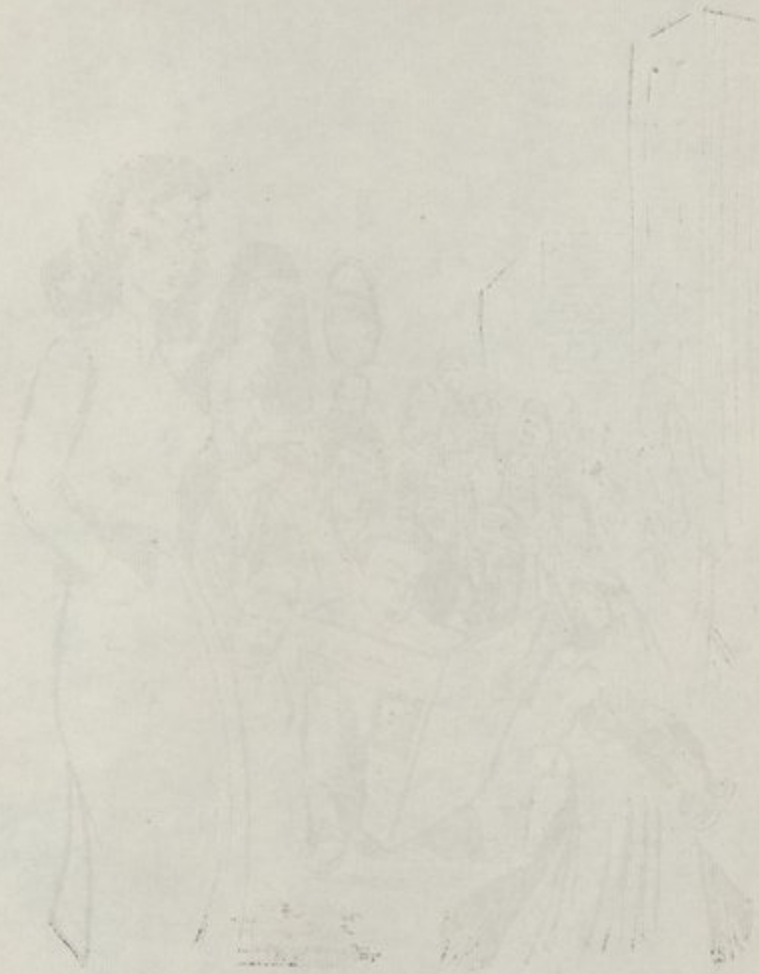

شجرتان ورجلان ...

شجرة الشر ومدير الشؤم

مجلة « المنهل » ربيع اول ١٣٧٥
اكتوبر ونوفمبر ١٩٥٥

في يوم من الايام . . رغبت في ان يكون حول بيتي حديقة . . يكون فيها اشجار من نخيل واعناب . . وفاكهة من كل زوجين . . ويكون فيها زهور الفل والياسمين والورد

وتكون منسقة . . منظمة . . يفصل بين كل صنف وآخر شارع مبلط . . وعلى جنبيه الآجر المصفوف . . ثم أترك في وسط الحديقة مساحة واسعة لزراعة الحشائش والاعشاب البطيئة النمو . . واملأ جوانبها بألعاب الاطفال ليتريض فيها أولاد الجيران ، والاصدقاء على الاقل . .

ولما أمعن عقلي في التفكير بانشاء بركة للسباحة وملعب للتنس قلت له : قف . من أنت ! وكم بجيبك ؟ . .

فانطويت على نفسي . . وقلت لها : بالضيعة الاحلام . . مالي أبعثر افكاري سدى . . ولماذا لا اكون عملياً . . واقعياً بلى سأكون كذلك . .

ذهبت الى دائرة الزراعة ، فوجدت الرجل المسئول هناك رجلاً كيساً لبقاً تحدثت معه عن الجهود الجبارة التي تبذلها دائرة الزراعة في سبيل النهضة الزراعية المرموقة والآمال المعقودة عليه وعلى امثاله من الشباب المخلصين ثم عرضت عليه مشروعي . . فتبرع باعطائي بعض الشجيرات المثمرة وغير المثمرة وبعض بذور الزهور لغرسها ، ومضيت شاكراً . . وقلت : نجحت مهمتي . . وسيكون عندي حديقة عما قريب باذن الله . . وسأزرع الخضرة والفاكهة . .

واكفي نفسي مؤنة الذهاب يومياً للسوق لشراء الخضرة وسأوزع على الجيران فائض ما احتاج او ابيعه لهم .. واصبح من وراء ذلك مثريا . . او على الاقل غير ذي حاجة !

واستأجرت حماراً لاذهب واحمل الشجيرات عليه من حديقة الزراعة البعيدة ، ووجدتني سعيداً يوم وصل الحمار بيتي فأنزلت شجيراتي . . واطلقت سراح الحمار فعرف السبيل الى بيت صاحبه . . واخذت الفأس والمسحاة احفر الحفر واضع فيها الماء والسماد والشجر . . ثم اطمر الحفرة بالتراب . . وزرعت في يوم واحد على ما اذكر خمسين شجرة . .

ولست اعلم انني ندمت على زراعة هذه الشجيرات ندمي في اليوم الثالث لغرس الشجر . . ذلك انه كان علي في مساء كل يوم ان اشمر عن ساعدي والبس (الشورت) واسقي تلك الشجرات ، واعتقدت ان هذه عملية سهلة . . وانها رياضة ممتعة لذيذة ولكنني اكتشفت انه حتى الرياضة التي يرى المرء ان عليه ان يمارسها كوظيفة لابد منها ، تراه يملها ويود لو امكنه ان يطلقها ويتهرب منها !

وراقبت نمو شجيراتي فرحاً . .

فاما الشجرات المثمرة كالموز (البنانا) والبرتقال مثلاً

فقد كانت تحتاج الى كثير من العناية (والتدليل) والماء . . والوقاية من الريح الشمالية وكانت تحتاج الى ان تكون ضمن نطاق سور يمنع عنها الابل السارحة والمعزى والغنم والحمير والبقر . . هذه الحيوانات التي يلذ لها ان تعبث بكل شيء اخضر الى جانب طعامها من الورق والجرائد في الشوارع والطرق .. وليس بمقدوري ان أبني سوراً حول بيتي البسيط . . ولذلك تركت هذه الشجيرات تقاوم مثلي في صراع الحياة الرهيب . . فاما الشجرات المثمرة فاصبحت في خبر كان . . وبقيت الشجرات الاخر تصارع . . وتقاوم عوادي الريح والمعزى . . وكلما كنت بالبيت وقام المعزى والبقر والحمير بهجوم قمت من جانبي بهجوم معاكس كنت انتصر فيه بالنهاية الا في معركة الحمير فكنت الخاسر دائماً لانني كنت اضربها بكل ما حولي من حجارة او عصى او اخشاب فلا تتحرك او تحس بألم . . فيسقط في يدي واستسلم للحمير استسلام اليائس المغلوب على امره . . وفي النهاية عاش بعد المقاومة الرهيبة نصف عدد الشجر . . وفرحت أيما فرح . . لانني وجدت في ذلك انتصاراً على الحياة او انتصاراً للحياة . . !

ونمت شجراتي . . ولم يرعني في كل هذه العملية سوى

شجرة (بارازيت) فضولية شائكة . . اطلت من الارض برأسها . . وأخذت سبيلها في النمو بعد سنتين من غرس وانتعاش شجراتي . وكانت لاتبعد أكثر من شبر او فتر عن شجرة نامية مترعرعة . . وكانت بجانب درج بيتي تماماً . . واهملت شأن هذه الشجرة الشائكة أول الامر . . وقلت لن يكون غذاء في الارض كافياً لاثنتين متجاورتين . . وستكون الشجرة الكبيرة اقوى بامتصاص الغذاء من الارض وستجد هذه الشجرة الطفيلية ان لامكان لها في الارض .. وان وجودها غير مرغوب فيه فتضؤل وتضمر وبالنهاية تجف وتلحق باخواتها الشجرات المثمرات ولكن غير مأسوف عليها هذه المرة ولكن نمو هذه الشجرة الشائكة الطفيلية اخذ يتسارع وها هي اشواكها تتطاول وها هو جذعها يسك .. عجيب !.. ان نموها أسرع بكثير من كل شجرة من الشجرات التي حولها . .

واسترعت هذه الشجرة انتباهي التام .. وكنت اخاطبها كل يوم بحقد : ولماذا تصارعين الحياة هذا الصراع . . سوف لن اعيرك اي التفات لن اسقيك بيدي كما سقيت باقي الشجرات. ولن اجلب لك السماد ولن اعني بك اية عناية . . انك طفيلية

انني احتقرك . . واهم بان ادوسها برجلي . . اسحقها . او اضربها بالفأس على قمة رأسها . . او بلغة الشجر . . على اعماق جذورها . . ولكن اعود فأقول في نفسي فلنتركها لنرى ما يكون . . ولنرى من الذي سينتصر . . ولم يكن من صدى لكلماتي . . ومقتي . . وحنقي على هذه الشجرة الشريرة الماكرة الا ابتسامة السخرية منها والهزء بي . . ها هي اوراقها الخضر النابضة بالحياة تكثر . . وتفيض رواء وانتعاشاً وها هي اشواكها تمتد في كل جهة فتلمس بل وتتعانق . . معاذ الله ! بل وتنفذ من اوراق واغصان الشجرة الوديعة المسالمة التي بجانبها . . فتنكمش اوراق هذه وتذبل . . وتنحني اغصانها باتجاه اشواك جارتها التي حنت عليها واكرمتها وافسحت لها . . فنمت وترعرعت من غذائها ومائها وهوائها . . وصممت على دراسة هذه الظاهرة الخرقاء الطبيعية او بالأحرى غير الطبيعية حتى في عالم النبات . . فماذا كان . .

كانت النتيجة انه بينما كان هنالك فرق سنتين بين عمر الشجرة الاصيلة المضيفة الوادعة المسالمة . . والشجرة الطفيلية الشائكة غير الموغوب فيها . . نرى هذه الشجرة الشريرة بعد سنة واحدة وقد اصبحت اضخم واعلى بكثير من جارتها . . حتى انها غطت عليها والتفت اشواكها حولها . . فكبلتها

وقيدتها فتضاءلت على نفسها وانكمشت . . واصبحت السيطرة تحت درجي الشجرة الشائكة . . وتطاولت اشواكها حتى وصلت (الفراندا) فكان اذا جاءني ضيف بسيارته . . وقليلاً ما هم ضيوفي اصحاب السيارات ، وركن سيارته بجانب الدرج كان عليه ان يزيح اغصان الشجرة الشريرة هذه بيديه ليستطيع النفوذ الى الدرج واذا كان مسرعاً واراد الوصول الى الدرج على عجل ارتطم وجهه بالاشواك فسالت منه الدماء . . فاعتذر وأقص هذه الاغصان الشائكة التي تطاولت الى درج بيتي وفرندته وكادت ان تصل الى شباك الغرفة وربما اذا تركت خرقت الشباك ونفذت منه الى داخل الغرفة وكثيراً ما كان يقرعني بعض ضيوفي (الناعمين) ويستغربون كيف يرضى رجل (فنان) . . بهذه الشجرة التي لاصلة لها بالفن قط وانا ضعيف امام النعومة . . يسلس قيادي لها . . ولم تكن حجة « دراستي » لظواهر الخير والشر تغنيني عن تخفيف الالم او تضميد جراح الوجوه الناعمة شيئاً . .

وكدت اقتنع بضرورة قلع وخلع واجتثاث شجرة الشر والشوك والفجور . . لولا انني رأيت حادثاً في بني الانسان ادهشني واذهلني . . وصرفني عن الاهتمام بدراسة الخير والشر بين النبات والجماد والحيوانات . .

جاءني في يوم من الايام . . مدير شركة عظيمة معروفة في العالم اجمع يقول : تعال معي نستقبل صديقاً لي وزوجته . . يصلان بالطائرة الآن من امريكا . فذهبت معه واستقبلناهما خير استقبال . . ونزلا بفندق مشهور من فنادق البلدة . .

وفي المساء ذهبنا لزيارتهما . . فوجدناهما متضايقين من هذا الفندق الفخم . . . فعرض عليهما رفيقي النزول في ضيافته .. فقبلا ذلك العرض دون ما تردد . . فأعطاهما رفيقي غرفته (المكندشة) وصار ينام في مكتبه الوثير (المكندش) أيضاً ، وبقيا في ضيافته اسبوعاً او يزيد ، اقام خلاله حفلات صاخبة جمع فيها نخبة سراة البلد وعلية القوم من محليين واجانب . . وعمل كل ما في وسعه ان يعمله رجل شهم كريم حسيب من اكرام واعزاز وسخاء حتى اصبح مضرب المثل .. وعرف ضيفه بالنخبة والعلية والطبقة الخاصة في البلد . .

فماذا كان . . ؟ !

وجد الضيف العتيد ان مضيفه يتمتع بمركز كبير في البلد . . وانه يسكن فيلا انيقة تحيط بها الأشجار من كل جانب . . وان اثاثها فخم جداً من افخر ما انتجت مصانع الاساس الامريكية . . وانه بالاضافة الى ان راتب مضيفه

ضخم الا انه لايصرف من جيبه مليماً واحـــداً على مأكل او مشرب او ملبس . . فالشركة تتعهد ذلك كلـه . . حتى الحفلات الصاخبة وان البيت مليء بالخدم والفراشين والطباخين . . وانه ما على المرء الا ان يأمر فيطاع ويكون له ما اراد . . وان الواجبات المطلوب من المدير ان يقوم بها ما هي الا واجبات روتينية رتيبة من السهل على كل مويء ذي ذكاء محدود ان يقوم بها . . هذا بالاضافة الى ان سيارتين جديدتين هما دائماً بخدمة وتحت تصرف المدير العظيم !

بهرت هذه التيسيرات والتسهيلات والمبهجات اعين الضيف وزوجه . . وعادا الى امريكا . . وبدلاً من ان يمتدحا خلق ومركز وحسن استقبال وضيافة مدير هذه الشركة الى رئيسها ومالك اكثر اسهم فيها . . أخذا يشتمان هذا المضيف والمدير الذي (لا قيمة ولا مركز له) . . والذي (لا يحترمه احد) . . والذي (لم يقم بواجب اكرامها ايما اكرام) والذي (لايليق قط بمثل هذا المركز) . . والذي (لا يستطيع ادارة مكتب الشركة) . . والذي (لا يعرف السبيل الى الاتصال بعليـــة القوم للاســـتفادة ايما اســـتفادة) . . والذي (يجهل اصول الاتكيت والبروتوكول في معاملته واجتماعياته) . .

ودوت مثل هـذه (التشنيعات) دوي الرعـد في اذن صاحب اكثر اسهم الشركة . . انهـا شركة الدولار والذهب الاسود والمتناقضات جميعاً انها شركة البحث عـن المتاعب والصفقات والمغامرات والمضاربات والغش على اوسع نطاق . . وصاحب اكثر الاسهم هو الرجل المسيطر الفعلي عليها . . هو الذي يلعب بمقدرات شركائه . . وهـو الذي له القول الفصل في النهاية . . وهذا رجل قد بلغ مـن الكبر عتيا . . ولكنه عبد خاضع للمرأة . . مزواج مطلاق وهو هارب مـن امريكا كلها ويسكن اوروبا تهرباً من دفـع ضرائب معينة عليه . . بـل هرباً من آخر زوجة طلقها فرفعت عليه قضيت تطالبه بنصف ثروته حسبما جاء في شروط عقد زواجهما في حالة الطلاق . . ولعب الضيف وزوجته الحسناء البارعة الاغراء . . دورهما في اقناع العجوز صاحب الشركة بتفاهة شخصية مدير الشركة في تلك البلاد التي تدر لبناً وعسلاً وذهباً اسود . . وحار في امره من سـيدبر عوضاً عنه في تلك الصحراء النائية . . ولم يكن من العسير التفتيش عمن يحل محله . . فهما مستعدان لمثل هـذه المفاجأة . . واقتنع المليونير العجوز ان خير من يحل محله هـو هذا الضيف الذي حل بالامس في ضيافة صاحبه . . واذن عرف الشيء الكثير عن البلاد وخبر اهلها . . واذا ذهب كان كمن

يذهب على هدى وبصيرة من امره . . هذا مع وجود هذه الكفاءات المتعددة لهذا الرجل . . امرأة مغرية لعوب . . لها صلات متعددة في تلك البلاد . . ورجل مغامر صاحب « مقالب » يعرف كيف ينتهز الفرص وكيف يوقع ويتآمر ويغدر وكيف يكون منكراً للجميل . . منكراً للنعمة . . يرفس الصداقة برجله في اي وقت شاء تبعاً لمصلحته .. يتودد ويحتال وينافق ويتمسح بالاعتاب لينال غايته . . لئيم خبيث ماكر . . يستعمل كل واسطة لتبرير غايته . . يغتاب ويحسد ويحقد . . يكذب وينكر اقواله بسرعة ويقسم على ذلك اغلظ الايمان .. يتحمل الصفع والاهانة بابتسامة وهدوء اعصاب ويشكرك في النهاية عليها ويهز كتفيه واذا اقتضى الامر لتقبيل يدك فعل ذلك لمصالحتك واعتذارا اليك لتعفو وتصفح عنه . .

قد يكون هذا تعريف الـ Gentleman في بعض جهات العالم . . وقد يكون لا مكان للرجل الشريف بينهم . .

وكل المليونير العجوز امر هذه المهمة « الشاقة » الى هذا الرجل وزوجه . . وسلمهما زمام امره وامر شركته في تلك الصحراء النائية . . واوصاهما بأن يبقيا مدير الشركة

ذاك حيث هو . . في وظيفته . . تقديراً لخدماته السابقة . .

جاء الرجل بمفرده وترك زوجه في مكانها . . حيث يقيم المليونير العجوز فأهل به المدير الاصيل ورحب . . واكرمه ايما اكرام . . واحله في البيت والمكتب في المحل الاول . .

طمع القادم الجديد . . وفي اليوم الثاني كان يأمر هذا . . وذاك . . من موظفي المكتب . . ويثير المشاكل ويأمر بنقل هذا الكرسي من هنا الى هناك . . وهذا المكتب من هناك الى هنا . . ويثير الغبار حوله حيثما جلس او نهض . . ! ويلقب نفسه بصاحب السعادة المدير الجديد ذي الكلمة الاولى ورب الأمر والنهي والسلطان . .

وفي اليوم التالي بالذات كذلك أخذ يسطر برقيات الشكوى المريرة الى صاحب الشركة المليونير العجوز ضد المستر . . مدير الشركة الذي لايحفل به ولا بصاحب الشركة ولا يبدي اي ذرة من روح التعاون معه ، وبالنتيجة يستحيل التفاهم معه . . ويرسل نسخاً من تلك البرقيات الى زوجه . . لتتصل بالمليونير العجوز وتلقي شباكها (الرشيقة) حوله . . لتصل هي وزوجها العتيد الى النتيجة المحبوكة خيوطها وسطورها منذ اول لحظة وطئت أقدامها ارض الصحراء . . !

لم يكن عسيرا على الزوجة الناعمة الحسناء اقناع المليونير العجوز بلزوم (قلع) و (خلع) المدير القديم من حذوره . . والاستغناء كلياً عن خدماته ولم يكن ليكلف ذلك اكثر من استعمالها كافة وسائلها المغرية للحصول على برقية الاستغناء عن خدماتـــه مع تقدير هـــذه الخدمات وشكره على جهوده السالفة . .

وصلت البرقية المدير القديم . . فضرب كفا بكف . .

ويلاه . . ماذا فعلت ! . .

اخلاص وجهد وتعب وعرق خمس سنوات عجاف . . تودي بها كلها برقية . . وما هي البرقية . . انها ورقة وعليها سطور وكلمات وحروف كهذه التي تقرؤها بين يديك الآن . .

آه لو دري الناس ما تفعل هذه الحروف وما هو تأثيرها في النفوس اذن لتدبروا . . وفكروا طويلاً . . وتعقلوا . . قبل ان يكتبوا حرفاً واحداً . . وقبل ان يصدروا اوامرهم ارتجالاً واعتباطاً ! . . ان هذه الحروف اصبحت الآن تتحكم بمصائر الرجال بمصائر الحكومات والشعوب . . والاسرة التي هي أســـاس المجتمع . . ! ان قصة واحـــدة او كلمات معينة تسطرها يد . . اما ان تضل رجلاً وامرأة . . او تهديهما ســواء

السبيل . . لقد اخترع الانسان هذا الحرف ثم أصبح عبداً له . . يسير حسب ما يمليه هو على نفسه وعلى غيره . . وان ساعة نزق او طيش . . او سكر وغيبوبة عن الدنيا يكتب فيها ما هو كاف لان يمزق أسراً ويدمر مستقبل رجال . . ويهدم نظاماً تعب في جمعه وتطبيقه اجيال واجيال . .

آه لو درت هذه السطور وهذه (البرقية) كم عرق وسهر هذا المدير في بدء تأسيس الشركة وكم بذل من جهد وكم صبر على كل مشقة . . . كيف اتى الى مكتب لا نور ولا ماء به حتى ولا اسلاك . . ولا زجاج . . ولا بلاط . . ولا اثاث وبقي المدير ينام على كرسي مصنوع من سعف النخيل . . سنة كاملة في خارج البيت . . حيث لا يمكن لامريء قط ان يطيق البقاء في بيت هو هيكل من الهياكل الأثرية القديمة مليء بالذباب والبعوض وشتى انواع الهوام والحشرات ويحتاج اصلاحه وتعميره الى اشهر عديدة . . ! هذا البيت والمكتب الذي دخله المدير بهذا الشكل تعال الآن وانظر اليه فماذا ترى . .

تراه بيتا يصلح لاستقبال الملوك ، وتراه مكتباً يحوي انفس الاثاث والرياش وترى حول البيت حديقة تحوي باسق الاشجار ، والازهار العبقة الشذى والعبير .. وتجد غرفاً تحوي

خير الكتب والمجلدات التاريخية والعلمية والاجتماعية النفسية . . تجد الصالونات الملآى بنفيس السجاد والفوتيهات التي لاوجود لها الا في بيوت الاريستوقراطية الامريكية الحديثة . . ايستطيع امرء ان يقدر الجهد المبذول لتحويل الصحراء الى جنات عدن تجري من تحتها الانهار . . والى تحويل الخرائب الى قصور . . والجهل الى علم ومعرفة . .

لم يكن بد امام الرجل النبيل . . المدير القديم . . الا ان ينطوي على نفسه . . ويهدأ الى كلبه الأمين الذي صاحبه سته اعوام في هذا البيت بالذات .. ماعتم الكلب ان عرف ان صاحبه تارك البيت لا محالة حتى تعلق بصاحبه وابى ان يتركه غمضة عين . . كان ينوح ويعوي عواء الألم والكآبة صباح مساء . . ويجري من غرفة لاخرى يبصبص بذيله ويجور رجليه جراً ذليلاً . . حتى لكأنه فاقد أعز ما يملك في الدنيا .. واخذ يذوي كل يوم اكثر من اليوم الذي قبله . . ويضمر ، ويفقد شهيته لتناول كمية اللحم التي توضع امامه كل يوم .. والتي تكفي لاشباع اسرة كاملة من الفقراء والمحرومين وابناء السبيل . . وكلما حزم المدير القديم حقيبة فقد هذا الكلب الامين من روائه ونضارته وصحته مما اصبحت اعتقد ان الكلاب تنتحر بالفعل وفاء واخلاصاً وحزناً !

وحزم الرجل النبيل .. المدير القديم امتعته كلها .. وقبل اقلاعه بالباخرة .. كان كل من عرف مثاليته ونبله يودعه على الرصيف .. وكان تبادل مجاملات وكلمات حارة.. وتمنيات طيبة .. ولم يره الناس أمرح منه في تلك الساعة قط.. وعندما اوشك الناس ان ينفضوا وقد أوشكت الباخرة ان تطلق صفارتها ، قال الرجل كلمة جميلة قهقه لها الجميع طرباً وذهبت مثلاً :

« الويل لمن يعمل مع مليونير عجوز ولا تكون الى جانبه أسلحة فتاكة .. (رشيقة) (جذابة) (فاتنة) .. ان مثل هذه الاسلحة يا اصدقائي تفوق في مفعولها وسحرها كل ذكاء وعبقرية واخلاص ونشاط .. !

وأما الكلب .. فقد عرف انه تبناه صديق للمدير القديم ، وعاش يومين معه .. كان في كل مرة يستطيع الانطلاق من صاحبه الجديد .. يعود الى صاحبه القديم وينوح .. وكأنه يقرح جفنيه بكاء على فراق صاحبه ..

ولم يرع الجميع ساعة اقلاع الباخرة الا والكلب ينطلق من بعيد .. ويهجم صوب الرصيف والناس .. وحين وصل حافة الرصيف قذف بنفسه في اليم .. وانطلق كالسهم يعدو

باتجاه الباخرة . . وكان من الطبيعي انه منهوك القوى خائر الاعصاب . . مقرح الاجفان . . لم يستطع المقاومة ولا اللحاق بالباخرة التي كانت المياه المتدافعة المتلاحقة التي تحدثها الباخرة وهي تمخر عباب اليم . . والتي كثيراً ماتبحر معها قارباً كبيراً او سمبوكا فتغرقه وتهشمه . . فكيف بكلب مصمم على الانتحار لقد جوت الباخرة ذلك الكلب اللاحق بها . . وبيسر أنالته بغيته . . فقد غطس غطسة لم يعرف النور بعدها قط . . وربما فضل هذه النهاية على نهاية أخرى قد تكون أقسى وأشد ايلاماً على يد انسان غادر . .

منذ رأيت نهاية هذا المدير ، وهذا الكلب . . والشر كيف يتفاعل بنفوس بني الانسان فيكون أضرى وأفتك وأسحق مما هو عليه عالم النبات في الارض الطيبة . . صممت . . وعزمت على ان أبقي شجرة الشر في اشواكها واسلحتها الرهيبة في مكانها . . وابقي تلك الشجرة المسالمة التي تلتف حولها الشجرة الشائكة لتغتالها . . وابقي شجرة النخيل التي نبتت بين الاثنتين وكأنها رسول صلح وسلام !

فماذا وجدت في النهاية . . ؟

وجدت الشجرات الثلاث استطاعت ان تعيش في الارض الطيبة . . كل منها تصارع لتعيش . . وعاش الثلاثة معا دون أن تسحق او تقتلع او تجتث احداهن الاخرى . .

فقلت في نفسي :

ليس على الارض شر من الانسان !

★ ★ ★

قصة مترجمة عن الاندونيسية بتصرف !!

غرفة ومطبخ وحمام

احلام الفقراء...

« المنهل » ذو الحجة ١٣٧٤

اغسطس ١٩٥٥

كان ذلك منذ خمسة أعوام . .

و كنت فقيراً معدماً . .

كنت أحلم ببناء كوخ من سعف النخيل . . من القش . . او من اكياس الاسمنت الورق . . او من خشب صناديق السيارات . .

ياالله . . . ما أوسع خيال الفقراء والمعدمين ! . .

وفي يوم من الايام . . وضعت قروشاً فائضة عن حاجتي في البنك فناولني موظف البنك دفتراً يذكر فيه رصيدي ويناولني دفتر شيكات مطبوعاً اسمي على كل ورقة منه . . ولست اعرف في حياتي سروراً غمرني كسرور ذلك اليوم . . كنت أرى ان كل ورقة من هذه الشيكات قد تساوي اكثر من القروش التي وضعتها في البنك . . فأقول في نفسي : ياللمغفلين الذين يرضون بحفظ رصيد الفقراء لديهم ! . .

ومرت بي ايام كنت ارى فيها وجه الدنيا كالحاً قاتماً . . ذلك لانني لم أجد الدنيا تنصفني أيما انصاف فالذكاء والفهم يلازمان الفقر والعوز والجهل والغباء يرتعان في بحبوحة من الثراء والرفاهية والرخاء . . هذا كقاعدة عامة ! . . ولكنني مصمم على ان اخوض معركة الحياة بكل ما أملك من مواهب لاصرع الفقر والحاجة . . ولكن للحرمان والالم فضائل ومميزات كبرى ايضاً . . انه يوسع الآفاق والادراك ويساعد على التأمل والتخيل . .

وقترت على نفسي . . وحرمتها كل لذائذ الحياة . . واقنعت نفسي ان كل ما ليس بامكاني الحصول عليه انما هو ترف وبذخ وضار . . اقنعتها ان الشوكولاتة تربك المعدة والفاكهة

تجعل في المعدة حموضة .. ولبس ثوب الحرير او الساعة الذهبية مظهر مـــن مظاهر التخنث . . واقتناء سيارة خاصة جريمة كبرى لان ذلك يمنع الرجل مـــن ممارسة رياضة المشي وهي ارخص انواع الرياضات . . اقنعت نفسي ان غرفة واحدة . . واحدة فقط وحماماً عادياً . . عادياً جـــداً ، ومطبخاً مساحته متران مربعان فقط . . كل هذا البناء كاف للانسان العادي . . . ولو كان البناء من اللبن او من شجر النخيل . . !

وتأملت موكب الحياة ! . .

هذا فلان الفلاني . . كان بالامس زميلي .. وكنا نعمل معاً في مكتب واحـد . . وكان (مكتبه) الى جانب مكتبي . . وكنا نمشي (مشوار) المساء على ارجلنا وكنت احاول اقناع نفسي واقناعه ان كل شيء على غاية ما يرام . . وان كل انسان ينال ما يستحق في الحياة . . الم يقل المتنبي :

وما الجمع بين الماء والنار في يدي
بأصعب من ان اجمع المجد والفهما

ثم أرى فلان الفلاني هـــذا بالذات يبني البيت الفخم . . ويشتري الاثاث الفخم . . ويركب السيارة الفخمة . . وربما يتزوج زواجاً فخماً كذلك . . فتختل القيم في نفسي . . ولكن ماذا أفعل انا على مكتبي .. اعمل بجد واخلاص . . واقتر واحرم

نفسي من كل اطايب العيش لاخنق القروش في البنك ، ولن يتيسر لي الغرفة والمطبخ والحمام التي احلم بها ليل نهار .. أأسرق ؟ ! ولكن كيف ومن اين ...

ومضت أيام ذقت فيها كل انواع (البهدلة) فهذا قميصي وسخ ومرقع .. وهذا جوربي ممزق ومهلهل وهذا بدني مبقع ببقع سوداء افركه بيدي فتتدحرج (فتائل) الوسخ .. وعذري مقبول لدى نفسي . . ليس لدي الوقت ولا الصابون ولا الماء الكافي لانظف بدني .. وهذا حذائي لم يذق طعم (الدهان) ابداً وهذا شعري يتساقط منه (السيبان) والقشر الابيض بمناسبة وبلا مناسبة واحكه بأظافري المستطيلة القذرة .. ويطول حتى يصبح كشعر الفلاسفة فيعجبني هذا المنظر « المزري » .. واقول في نفسي انني سعيد بهذا المظهر الذي يعطيني انطباع الرهبة والوقار الفلسفي والعمق . . فاتخذ وضعية جدية .. واذا جلست مع اناس بسطاء .. تراهم تربعوا واخذوا سمة الاحترام والهيبة وأطل احدهم برأسه وسأل : ما رأيك يا استاذ بكذا او كذا وقد يسألونني اسئلة محرجة .. يسألونني مثلاً اسئلة فلكية او طوبوغرافية .. او سياسية او اجتماعية .. عميقة .. فأشحذ الفكر .. وادلي باقوال مبهمة غامضة .. يسهل تأويلها على عدة وجوه .. وأشتط بالحديث

فابتعد به عن نواحي الزلل واصل بـــه الى مواضيع مأمونـة مضمونة . . فيعجب الناس من هذه (اللباقة) و (الكياسة) وسرعة الخاطر . . ولكنني ادرى بنفسي من الناس جميعاً ، انني اقرب الى الغباء مني الى الذكاء . . والى الجهل مني الى العلم . .

لماذا كنت قاسياً كل القسوة على نفسي . . لماذا كل هـذا التقتير والشح واغـلال اليد الى العنق ؟ ! . . لانني كنت وراء غاية . . اريد بناء غرفـــة ومطبخ وحمام على ارض املكها (والملك لله) ولكن كيف أبني وانا لا أعرف مـــن فن البناء شيئاً . . لا اعرف المربـع من المستطيل . . والمتر المربـع مـن المتر المكعب ! اذن سأدرس .. سأسال صديقي المهندس فلانا.. سألصق به اسبوعاً استدرجه ليحدثني عن كيفية البناء ووضع الاساس في الارض .. والمواد المطلوبة لذلك . . وعن ايها اقوى على الدهـر : اللبن ؟ ام الحجر ؟ ام آجـــر الاسمنت ؟ وعـن التكاليف المطلوبة وهل رصيد القروش الذي في البنك يساوي هذه التكاليف المطلوبة ام لا . .

آه . . يالجهل والفقر ما اقبحها انني اغبط هـذا المهندس الذي اذا اتاه (زبون) يريد بنـاء بيت امسك الورقـة والقلم ورسم له ما اراد . . . وبعد دقائق يتناول الرجل الورقـــة المخطوطة ويدفع ثمنها قدر راتب شهرين او ثلاثة من رواتبي ..

هذا اذا كان البناء بسيطاً . . واذا كان ضخماً فخماً ربما دفع راتب سنتين من سني عمري الضائع . . والعملية أبسط مما تتصورون . . ان تطبيق هذه الورقة المخطوطة على الارض أمر هين كذلك عند المهندس والمقاول ولكنه عندي وعند الجهلة امر شاق عسير .. آه ليت أبوي ضرباني ودفعاني دفعاً للمواظبة في المدرسة على الدراسة لأميز بين المتر الموبع ، والمتر المكعب بين الخط الافقي وبين الخط العمودي ، بين المثلث والهوم ؟ ! اذن لكانت لدي المباديء التي بها اقلد هذا المهندس فاسرق منه رسماً او رسمين خارطة او اثنتين . . ثم استطيع بناء الغرفة والمطبخ والحمام

ولكنني مصمم على بناء الغرفة والمطبخ والحمام . .

وقد بنيتها جميعاً . . وانا الآن اسكن فيها ، ستتساءل : وكيف كان ذلك ؟ ! . .

ستقول : سرقت . .

فأقول معاذ الله . .

ستقول : اذن استدنت مبلغاً ما من صديق او وجيه (وبلعته) عليه . فأقول : اتريد ان تقول انني نصبت على صديق او وجيه بمبلغ اصبح في خبر كان . . ومن اين يقوض الصديق او

الوجيه . . فقيراً بائساً محروماً مثلي . . لا . . لا . . اني ما نصبت على احد من الناس . .

ستقول اذن تذللت . . وتمسحت بأعتاب زيد او عمرو . . فاشفقوا عليك . . ومنحك كل منهم منحـــة . . فاقول : حتى ولا هذا . .

اذن ؟ . . وارتسمت على وجه صاحبي علامـــة استفهام عريضة . . . لا . . لا ياصاحبي . . حتى ولا هذا ولا ذاك . . فلا زلت أعزب اعيش وحدي . .

اذن كيف ! . .

ياصاحبي لاتسل كيف . . اعرق وجاهد . وحدك . . . اعرق . . . واشحذ فكرك . . وتمثل دائماً ببيت ابي الطيب المتنبي:

وانما رجل الدنيا وواحدها

من لايعول في الدنيا على رجل

وبالوسائل الشريفة . . تستطيـع ان تصل الى ما يصل اليه غيرك . . او الى بعض مايصل غيرك اليـه . . وتكفي حينئذ ذل الحاجة والاستجداء والتذلل وتستطيع الحصول على الخبز والجبن وتعيش مرفوع الرأس موفور الكرامة عزيز الجانب . . ومع امثالنا . . من المكدودين الكادحين . .

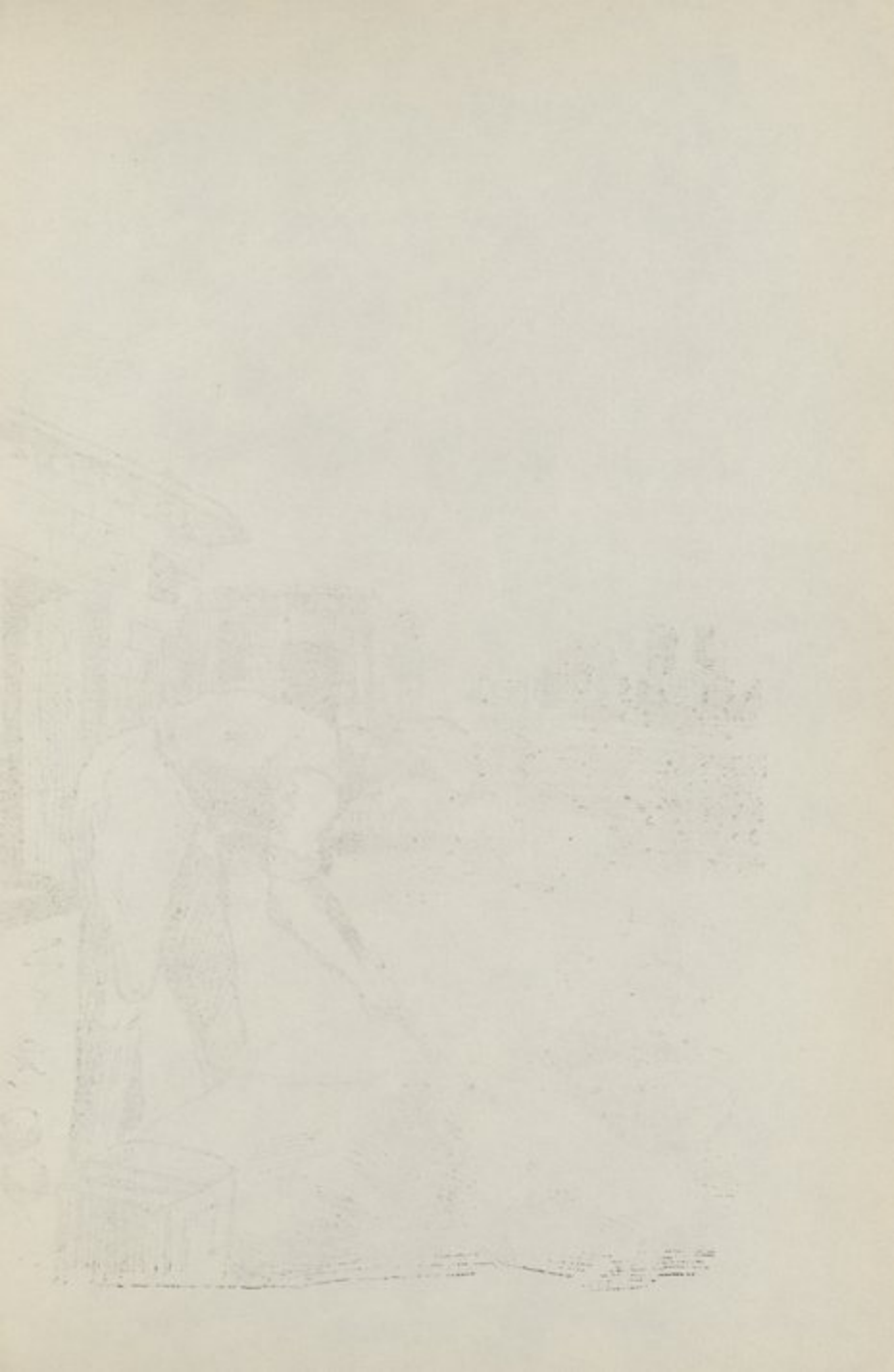

بين القصة والوصف :

صخور العشاق ...

« المنهل » محرم وصفر ١٣٧٦
اغسطس وسبتمبر ١٩٥٦

على شاطىء جدة بطريق المدينة صخور طبيعية لو وجدت في بلد من بلدان اوروبا او امريكا لسميت بـ (صخور العشاق) هذه الصخور تقع على شاطىء البحر مباشرة . . ويستطيع ان يستتر تحتها . . ويستظل بظلها من الشمس المحرقة اكثر من واحد طول النهار . . ويختلف الى هذه الصخور ألوف الناس من اهل

جدة ومن الجاليات الاجنبية العديدة فيها ، يقضون على الأخص نهار الجمعة بأكمله ، يستمتعون بالسباحة والتجديف ولعب الريشة الطائرة . . ويطهون طعامهم هناك ويستمتعون بشي اجسامهم وكسب جلودهم اللون البرنزي الذي لاتستطيع كل شمس اوروبا ان تكسب بعام ، ما يكسبه الموء بيوم من ايام جدة من هذا اللون المغري الجذاب الذي يتهافت عليه ويشتريه الحسان بأي ثمن ! ! . .

وفي يوم من ايام يونيو المحرقة . . اخذت بيد رفيقي الى سيارتي . . وطرت به من جدة . . ومشينا بحذاء الشاطيء . . ومررنا بقصور الشربتلي في تلك البقعة التي كانت قبل بضع سنوات يباباً بلقعاً . . وعلى فرسخ واحد من تلك القصور ترقد صخرة عاتية كأنها السفينة الطافية في عرض البحر . . واذ كان البحر جزراً امكننا ان نرقى اليها بيسر . .

واذ استقر بنا المقام ، وقد كانت الشمس على وشك ان تسبح بالبحر . قلت :

ها نحن بعد عشرة اعوام نلتقي مرة اخرى . . وفي هذه البلدة بالذات التي كانت اشبه بقرية خربة حتى الى بضعة سنوات خلت . . وها هي اليوم عروس من امهات المدن . . حدثني بما

جوى معك . وقد افترقنا بعد ان اوشكت على الزواج اثر نصيحة اسديتها لك مخلصاً أميناً . .

قال : انني منذ ذلك اليوم وانا ادعو عليك ان يصيب اولادك ما اصابني . .

– وما الذي اصابك . . انني اراك موفور الصحة . . موفور الثراء . . واسع الجاه . . كثير الاولاد . .

– اذن فاسمع قصتي :

– كنت حواً طليقاً . . كالطائر الغريد الذي يغني على كل فنن . . كنت آكل ما اشتهي . . والبس ما اشتهي .. واسافر الى اي بلد ارغب . . واسهر الى اي ساعة اريد . .

– هذه فترة مرة بكل شاب من الشباب . . ثم ماذا ؟ !..

– ثم تزوجت أنت .. انت الذي لم يكن يصدق كائن حي بأنك ستتزوج في يوم من الايام . . لأن كل لهو كان متيسراً لك . . وكل متعة كنت تملكها بكافة ألوانها . . وجئنا نهنئك بعد حين . . كان كافيا لأن يعرف خلاله أأنت سعيد ام نصف سعيد . . او لا سعيد قط . .

كنا نظن ان صاحب هذا القلب الكبير لن تملكه امرأة واحدة . . ولن يدور مكتفيا بارجاء قلب واحد فقط ! !

وسمعنا منك عجباً . . ووجدنا دنياك تركزت في بيت وامرأة. وشعر كل من في البلد انك لست نصف سعيد . . بل سعيد سعادة كاملة حقاً وصدقاً ! ! . .

فقلت : اعلم يا أخي جنبنا الله واياك السوء . . ان ليس هنالك .. في عالمنا الارضي هذا .. شيء اسمه سعادة كاملة .. ثم ..

– (مقاطعاً) اذن خدعتنا بمظهر السعادة الذي كان يطفح به وجهك ويشيع في كل خلجة من خلجاتك . . ففرتنا المظاهر واقدمنا على الزواج بقلب سليم . . مما جرنا ذلك الى متاعب لاحد لها ولا حصر . .

– ما رأيك ان تصبر حتى اتم مقالي . . واذا كنت لاتستطيع معي صبرا فلنفترق ! ! . .

– لن نفترق حتى اجد مبرراً لتغريرك . .

– اذن فانصت . . فالكلام يا عزيزي فن كما ان الصمت فن . . كما ان الحياة كلها كذلك فن . . والزواج فن من ارقى هذه الفنون واعلاها كعباً . . فاذا استطعت ان تتقن فن الحياة استطعت ان تنجح وان تتقن فن الزواج معها . .

وآية هذه الفنون ومعجزتها ان (تصمم) على النجاح في كل فن تمارسه . . وان تحول الهزيمة الى (نصر) . . وان

تعيش في الواقع . . لا في الخيال . .

ان الزواج كما هي (العزوبة) . مشكلة . . واي مشكلة فيه التزامات وواجبات . . ومشاكل يومية عويصة . . لابدمن مجابهتها ومواجهتها بشجاعة وصبر . وأناة . . واحياناً بحزم وسرعة . .

انك تكون كأنك داخل معركة . . وهي كبرى معارك الحياة . . فاذا لم تكن معداً نفسك لدخولها . . بكافة الاسلحة . ومختلف الوسائل . . فشلت واندحرت ! ! . . والاسلحة هي مختلف مايتحلى به المرء من فضائل وما يكتسبه من خبرة وتجارب في ايامه ولياليه ! ! . .

– اذن فالعزوبة أسهل وايسر . . اذ لاحاجة لك معها في دخول معارك واسلحة وتجارب ! ! . .

– بل بالعكس يا أخي . . أترى هذا البحر الاحمر . . هذا الذي ينعتونه بالهدوء والمسالمة . . اترى هذه الامواج التي تتكسر على شاطئه الجميل . . ترى ما يحدث لو لم تكن هذه الامواج كلها ثنائية . . هيا انظر . . ان موجة تحطم الاخرى . . فلا يصل للشاطىء من هذا الموج الصاخب الهائج الا امواج محطمة . . تتلاشى حدتها ويتزعزع عنفها . . ويعفو زبدها . . ترى ماذا يحدث لهذا البحر لو كان كل منتوجه مدا . او كان كل

منتوجه – على العكس – جزرا . .

وهكذا الامر في حال العزوبة . . يندر ان تجد عزوبة نقيـة طاهرة خالصة . . فكل الف يفتش عـن الف . وكثيراً ما يكون الالف سيئاً كل السوء . . غادرا كل الغدر . . خائنا كل الخيانة . . مراوغاً مخادعاً . . همه امتصاص ما في جيب الفه وعصره . . وتركه كقشرة الليمون الجافـة التي لانفع فيها ولا فائدة . . العزوبة مشاكل جنسية لاحصر لها . العزوبة جدب وعدم انتاج . لان من لايخلف من يحمل اسمه ، معناه انه ينتحر معناه انه يقضي على نفسه بنفسـه . . كمن يجتث اصله وفرعـه . ثم . . كيف تواجه المجتمع وانت اعزب ؟ ! . . انـه يشك في نظراتك وحركاتك وسكناتك . . يشـك في جيرتك وصحبتك وافكارك وآرائك . . انك توجه لناحية الجنس جـــل او كل همك . . انك معرض للفضائح والاشاعات والاقاويل . . ان أية امرأة تستطيع هدم مجدك . . حـين تنصب شباكها حولك . . وتلعب بعواطفك . .

– ان شر مابك المبالغة .. كل متزوج عاش قبل زواجه عازباً .. فهل معنى ذلك ان كل متزوج عاش قبل زواجه عازبا . فهل معنى ذلك ان كل متزوج لقي ما تنعت قبل زواجه . . واذن أينما توجهت تشم روائح الجريمة والآثام والغدر . . مـع ان

نسبة كبيرة من العزاب لايقرونك على هذا وانا واحد منهم!!..

– مكابرة .. وتغطية للموقف . . من ذا يستطيع ان يقول انني لم اكن في عزوبتي مكبوتا ؟ ! . من الذي يقول انه استطاع ان يعمل ما يشاء دون التعرض لانتقاد الاخ والصديق والجار . . وكثيراً ما يؤول الامر الى تهديد ووعيد ..وتجنب.. ونبذ وطرد . . من الذي يستطيع ان يقول انه واجه الرأي العام دون ان يندحر وينكسر .. ويلجأ الى التوبة والاستغفار والفوز من الغنيمة بالفرار .. مذموماً مبئوساً مغلوباً على امره !.

اذا كنا في هذا الصعيد الحر .. وفي هذا الهواء الطلق . . نقول الحق بملء حريتنا اقول : ان ساعة عزوبة واحدة خير من الف ساعة من جحيم ما أنا فيه .. مهما كانت مخاطر العزوبة وكبتها وعقدها !! . .

وانني ارى انك هاجمت العزوبة هجوماً ايجابياً .. ولم تكن ايجابياً في توضيحك فضائل الحياة الزوجية اذا كان فيها فضائل . مع انني استطيع ان اعدد لك مائة من مساوئها على الاقل !!..

– اسمع ياأخي .. كفانا واياك الشر والسوء .. سأجيب على تعليقك هذا ببعض مقتطفات من مذكراتي :

★ اليوم ١١ يناير ١٩٤٦ أتزوج . فأشعر انني املك امرأة لي وحدي . . وانني ملك امرأة واحدة . .

★ في ١٥ يناير اسافر مع زوجتي الى اوروبا . .

والفرق بين هذه المرة والمرات التي سبقتها شاسع واسع . . في المرات السابقـــة كنت كلما تعرفت الى امرأة لا اعرف متى اكون في قبضة البوليس . . او في قبضة اخيهـا او عشيقهـا او زوجها . .

اما الآن . . فللمرة الاولى في حياتي لا اخشى البوليس وانا في صحبة امرأة هي زوجتي . . كنت حين اتعرف الى امراة . . تحاول جهدها ان تجعلني فاقد الوعي والشعور . . لتمتد يدها اما الى جيبي . . او لتستطيع الحصول مني على افخر اكلة او اثمن هدية او تجرني الى ورطة تلو اخرى . . تكلفني اكثر مصروف ممكن . .

اما الآن . . فللمرة الاولى في حياتي اشعر ان كل قرش يصرف زيادة عن لزومه يسبب لي الحساب العسير ، وكأنه يخرج من قلب هذه المرأة التي هي زوجتي . . وان أية محاولة او التزام اجتماعـي لغير ذلك يبوء بالفشـــل ويسبب لي متاعب وصدوداً واعراضاً مـن زوجتي الحازمة التي تغار فعلاً على سمعتي وشرفي ومركزي . . انني بالقرب منها . . اشعر بالحنو الحقيقي غير المزيف بالحب الحقيقي الذي لا مصلحة من ورائه . . واشعر بالقوة الدافعة التي تدفعني الى الامام . الى مراقي النجاح . . الى معارج الرقي . . وبكل شجاعة اقتحم كل عقبـة . . واذلل كل صعب . . واصل الى اي هدف . .

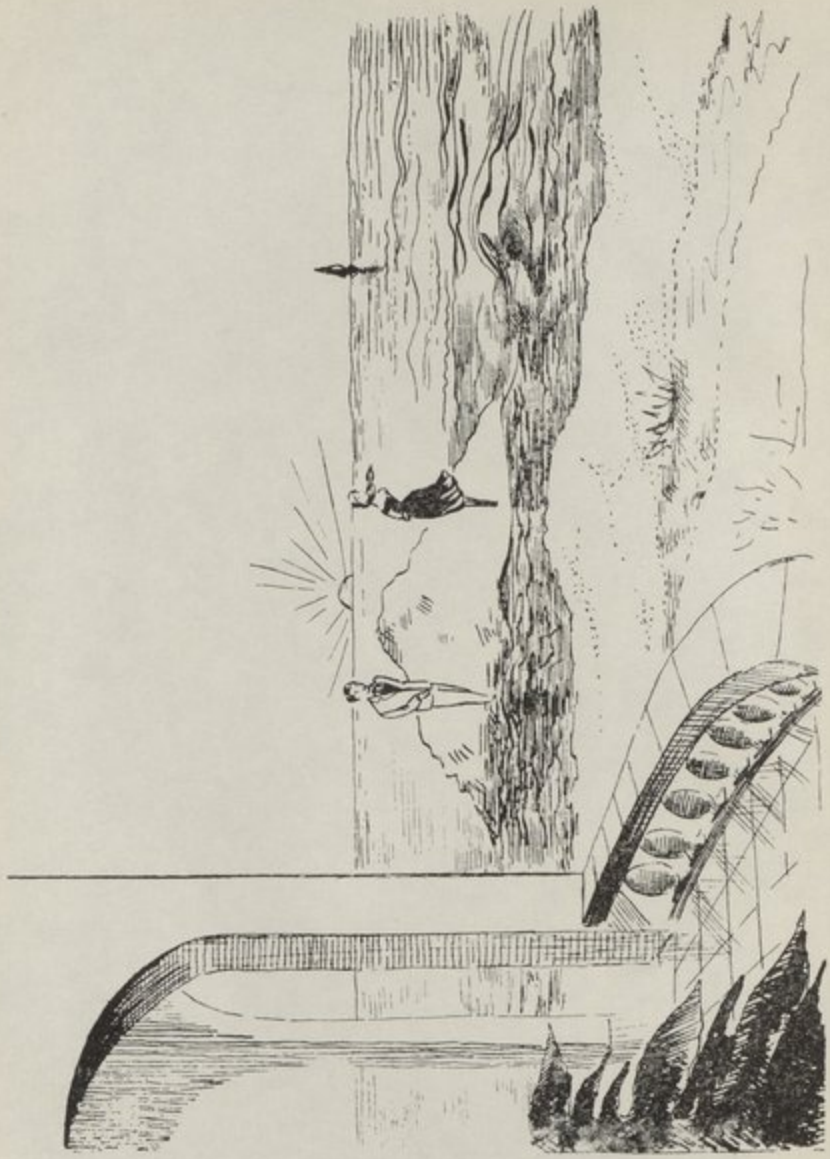

الفهرس

صفحة

٥ تحية من نوع جديد
١٥ امتحان الرجولة
٢٧ استقبال ابطال الفالوجة في غزة
٣٩ ولكن ، قصة سرية النصر السعودية
٥٣ الحرب وحل وشرف - قصة من الميدان
٦٧ ماسح الأحذية
٧٧ انا عائد من الميدان
٩٥ خطبة ماتت ولله الحمد
١٢٥ عدو واحد . . وأمنية واحدة
١٥٥ لحظات الابدية . . هكذا تراءت لي الاكوان
١٦٧ شجرتان ورجلان . . شجرة الشر ومدير الشؤم
١٨٧ غرفة ومطبخ وحمام . . أحلام الفقراء . .
١٩٧ صخور العشاق . .

الخطأ والصواب

ص	سطر	خطأ	صواب
الاهداء	٧	ومصلتها	ومصلحتها
٨	١٦	مقابلوهم	مقابلونهم
١٠	٨	اللبنا	اللبنات
١٩	١٣	سعد يسفر	سعد قبل ان يسفر
٢١	١١	فيلتقي	فيتلقى
٢١	١٩	تلسحا	تسلحا
٢٣	٥	سعداً	سعد
٢٨	٩	يخافون	تخافون
٣١	١٣	ستعنوا	ستعنو
٤٥	٦	وتبون	وتموت
٤٦	٩	عديس	عبديس
٤٨	٣	التأني	المتأني
٤٨	١٧	الزحف	للزحف
٥٤	٢	والغنى	والضنى
٥٤	٩	صرصرا	صرصر
٥٤	١٠	ضيقاً	ضيقة
٥٤	١٢	ورقبا	ورقيا
٥٥	٦	الثوازن	الثوران
٥٥	١٦	يله	بله
٥٦	١٨	والخضرة	واخضرة
٥٧	٦	قوش	قرشاً
٥٧	٧	عبث	عبثاً
٥٧	١٠	تنحرج	تخرج
٥٧	١٢	اصفاف او ايلاف	اصفاف او ائتلاف
٥٨	١	يتدثرا	ليتدثرا
٥٨	٥	نوم	من النوم
٥٨	٧	غارقتين	غارقتان
٥٨	٧	لامر	الامر
٥٨	٩	فيتنعم	فينعم
٥٩	١	هذه	هذا
٥٩	٣	يطلب	يتطلب
٦٠	١١	وعادوا	وعادا
٦٠	١٨	ينصتا	ينصتان
٦١	١٠	وتذكروها	وتذكراها
٦١	١١	تقاسيان	تقاسيا
٦٢	٥	جبهته	جبهة

ص	سطر	خطأ	صواب
٦٢	١٦	اذاك	اذ ذاك
٧٨	١	جفوبها	جنوبها
٧٨	١٢	هذه	هذا
٨٢	٢	الثلاثة	الثلاث
٨٣	٢	المثبوته	المبثوثة
١٠٠	٣	استمحيك	استميحك
١٠٠	٧	الذين	الذي
١٠١	١٩	أصبوا	اصبو
١٠٢	١١	محفورة	محفوراً
١٠٣	١٥	يدينا	أيدينا
١٠٤	٣	ناحية	ناصية
١٠٤	١٣	القاضي	القاصي
١٠٥	١٤	مستعد	مستعداً
١٠٦	٢	حلة	حالة
١٠٦	١٣	بوسالنا	بوسائلنا
١٠٧	١٠	بوقارة	بوقار
١١٩	٥	لست	ليس
١٢٨	١٢	والى غور	والغور
١٢٨	١٢	شم	شيم
١٢٨	١٢	فوق تحسبها	فوق الرؤوس تحسبها
١٢٨	١٣	جيشاً	جيشا
١٢٨	١٣	وستهزم	ومنهزم
١٣٠	١	الولد	الملد
١٣٢	٦	ولكنها	ولكن
١٣٣	٩	التدريسية	المدرسية
١٧١	١٧	لن	لا
١٧٤	١٨	الاساس	الاثاث
١٧٥	٦	مريء	امريء
١٧٦	١٤	اسود	اسودا
١٧٩	٢	حذوره	جذوره
١٨٩	١٥	المجد	الجد

مطبعة الوعد

بدمشق

لطبع كافة المطبوعات التجارية والملونة وطباعة الناقر

شارع بغداد ـ عين الكرش ـ جادة فتحي الأتاسي رقم ١٦

الرسوم والغلاف بريشة الفنان الاستاذ عزت تويلاتي

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 077911822

ملتزم الطبع والنشر
شركة فرج الله للمطبوعات

الثمن ٣ ليرات

مطبعة الوعد بدمشق

2276, 933'15, 385